خطبة الجهاد عند علي بن أبي طالب
دراسة حجاجية

د.عشري محمد علي محمد*

ملخص

كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أبرز خطباء الصحابة على الإطلاق، واستنادًا إلى ذلك وقع اختياري على خطبة الجهاد له، وقد اعتمدتُ في معالجة خطبته على دراسة الحجاج من منظور بيرلمان وتيتيكاه، ولعل السبب في ذلك هو تركيزهما على الحجج ذات البعد البلاغي، والهدف من الدراسة مقاربة هذا النص من الخطابة العربية، ودراسة الأساليب الحجاجية التي وظَّفها عليّ في هذه الخطبة؛ لكي يقنع أتباعه بضرورة الجهاد للدفاع عن الأنفس والأعراض والأموال.

إن خطب الإمام علي، من وجهة نظري، كانت بمثابة التربة التي نبتت فيها البذور الأولى للحجاج في النثر العربي حيث اتكأ الإمام عليه بقصد أو بغير قصد، ومن ثم فإن فن الحجاج العربي قد انبثق من رحم الخطابة العربية، ولذلك جاءت الخطبة عبارة عن حجج متتالية، فهي أسباب ونتائج، فالجهاد سبب لدخول الجنة في الآخرة، ومن نتائج تركه الذل في الدنيا والآخرة، فلذلك دعا علي أنصاره إلى القتال فلم يستجيبوا، ومن ثم ذلُّوا، وقُتل منهم رجال صالحون، وأُهِينت النساء، ولما ألح علي عليهم؛ ليحاربوا اختلقوا الأعذار الواهية، فهم ليسوا برجال، بل أشباه رجال، ومن ثم ندم علي على معرفتهم؛ لأنها كانت سببًا في قول قريش إنه ليس محاربًا، وتاريخ علي يشهد بأنه ظل يحارب طيلة حياته.

*د.عشري محمد علي محمد: أستاذ البلاغة والنقد المساعد- قسم اللغة العربية- كلية الآداب- جامعة السويس.

مقدمة

يعد الأدب العربي شعره ونثره أحد الروافد المهمة التي استمدت منه البلاغة شواهدها، لكن درجة اعتناء البلاغيين والنقاد بالتراث الشعري كانت تفوق اهتمامهم بالتراث النثري(١)، وعلى الرغم من غزارة النصوص النثرية التي خلفها العرب منذ العصر الجاهلي فلم يَتْبَعْ نثرُهم تنظيرًا نقديًّا كافيًا، وتأتي الخطابة في مقدمة هذه النصوص مع أنها حظيت بمكانة عالية عند العرب(٢)، فكما كانت القبيلة تحتفي إذا ولد فيها شاعر، كانت أيضًا تزهو إذا نشأ فيها خطيب.

ولا يخفى أن الجاحظ من البلاغيين القلائل الذين اهتموا بفن الخطابة، فلم يطنب، في دفاعه عن العرب ضد الشعوبية، في الكلام عن الشعر، كما أطنب في الخطابة، حيث قصر كلامه على هذا الفن، وأبرز تفوق العرب وأصالتهم فيه(٣)، حيث رأى الجاحظ أن الذي يميز الخطباء العرب عن غيرهم من الفرس واليونان قدرتهم الفائقة على الخطابة الآنية، إن جاز هذا التعبير، و"كلّ شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة... وخطباؤهم للكلام أوجد"(٤).

كما يعد كتاب (في بلاغة الخطاب الإقناعي) لمحمد العمري من الدراسات الحديثة الرائدة التي تعرضت لدراسة الخطابة العربية في القرن الأول للهجرة، حيث يقدم الكتاب قراءة لسانية بلاغية جديدة للخطابة في عصرها الذهبي، (صدر الإسلام والعصر الأموي)، فقد عُني باستخراج البراهين الحجاجية في الخطابة باعتبارها أهم ما يميز الخطابة عن الشعر.

تختلف طبيعة النص الشعري عن النص الخطابي، فالأول يهدف إلى التخييل، والخطابة تهدف إلى التصديق، ومن ثم يرى حازم القرطاجني "أن التخييل هو قوام المعاني الشعرية، والإقناع هو قوام المعاني الخطابية ... واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ... كما أن التخاييل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية... فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه"(٥)، أي أنه يمكن أن يعتمد الشعر أحيانًا على الإقناع، والخطابة أحيانًا على التخييل؛ لأن الغرض في الصناعتين واحد، وهو إلقاء الكلام للتأثير في النفوس، وهي تحب التنوع في مذاهب الكلام؛ ليتجدد نشاطها(٦)، وهذا بلا شك يجعل الخطابة مرتبطة بالحجاج أكثر من ارتباطها ببلاغة العبارة وجماليات الأسلوب، تلك البلاغة التي كثرت دراستها في التراث الشعري.

لاحظ بعض الباحثين المحدثين قلة الدراسات العربية في مجال الخطاب الإقناعي النثري، يقول: "يستغرب المتتبع انقطاع دارسينا عن القديم، وعدم مسايرتهم للحديث، في دراسة الخطاب الإقناعي، وتراثنا منه يضاهي التراث الشعري أو يأتي بعده"(٧)، أي أن هناك ندرة في معالجة النصوص النثرية من هذه الناحية حيث كان الاتجاه البحثي بصفة عامة منصبًّا على دراسة الشعر؛ مما دفعني إلى هذه الدراسة، كما تساعد دراسة الخطابة من منظور حجاجي على فتح آفاق الدرس البلاغي؛ ليستوعب مجالات أرحب وأوسع ترتبط بنظريات التواصل الحديثة، حيث ظهرت في الآونة الأخيرة حقول معرفية جديدة تجعلنا

أشد اهتمامًا بالنصوص النثرية، من ذلك نظريات الحجاج والتداولية التي ارتبطت بالعديد من ميادين الأدب والثقافة والفلسفة والسياسة وغيرها.

هذا لا يمنع من وجود علاقة قوية بين بلاغة الأسلوب وبلاغة الحجاج، وإنما المأمول هو عدم حصر البلاغة واختزالها في بلاغة الأسلوب والصور والمحسنات البديعية؛ لأننا بذلك نحجر واسعًا، "إن البلاغة العربية ليست محصورة في الجانب الجمالي، بقدر ما هي معنية أيضًا بالجانب الحجاجي، وإهمال هذا الجانب يؤول إلى إغفال جانب مهم من الخطابات في التراث العربي مما يسهم في تحجيم دائرة البلاغة العربية، فكل خطاب بلاغي يستهدف بلاغتين؛ إحداهما: جمالية تخييلية إمتاعية، والثانية: بلاغة إقناعية تداولية حجاجية، أو هما معًا"(٨).

إن تعدد زوايا النظر وتجديد أبعاد الرؤية مما يكسب البلاغة عمقًا واتساعًا، ويكشف في الوقت نفسه عن مناطق مجهولة من تراثنا على مستوى التنظير من ناحية، وعلى مستوى التطبيق من ناحية أخرى، لقد منحتنا نظريات الحجاج الكبرى فرصًا عديدة لإعادة النظر في البلاغة العربية القديمة، وقراءتها من منظور جديد، وأيضًا العمل على تطويرها وتجديدها وإغنائها، وإبراز مكامن القوة، والضعف فيها، وهناك محاولات عديدة لتأسيس بلاغة عربية حجاجية من جهة، وبلاغة عربية معرفية من جهة أخرى(٩).

ثمة نصوص نثرية كثيرة تعتمد على تشغيل آليات حجاجية متعددة، ويكون الغرض منها إقناع المخاطَبِين في المقام الأول قبل أي هدف جمالي آخر، ومن ثم تُستخدم هذه الآليات فيها بكثافة عالية أكثر من أي إشارة جمالية أخرى،

يتضح ذلك في بعض النصوص النثرية كالخطبة والمناظرة والنادرة وغيرها، ولا يجوز أن نتغاضى عن البلاغة الحجاجية فيها، ونكتفي ببلاغتها الجمالية(١٠).

العلاقة بين الحجاج والخطابة

تختلف الخطابة عن الشعر بصفة عامة، وعن بعض نصوص النثر الفني بصفة خاصة، فهي أشد اعتمادًا على الحجاج في بنيتها ومنطلقها من أي فن أدبي آخر، حيث إن "قوام الخطبة وكيانها يقوم على الإقناع والاستمالة"(١١)، فيعد الإقناع من أهم أسس الخطابة؛ لأن العلاقة بينه وبينها علاقة وطيدة، بل إنهم عرفوا علم الخطابة تعريفًا يكاد يتفق مع تعريفهم للحجاج، حيث"عَرَّفوا هذا العلمَ بأنه: مجموع قوانينَ تُعرِّف الدارسَ طرقَ التأثير بالكلام، وحسنَ الإقناع بالخطاب، فهو يُعنَى بدراسة طرق التأثير ووسائل الإقناع"(١٢).

يقوم الحجاج أيضًا على استمالة المخاطب وإقناعه بما لدى المتكلم من آليات لتأييد فكرة أو للقيام بعمل، "أنجع الحجاج ما وُفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وُفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"(١٣)، والهدف من الخطابة يكمن في الإقناع، "ما تبارى الخطباء والبلغاء في ميادين القول إلا للتسابق إلى غايات الإقناع"(١٤)، فالخطيب عندما تأتيه فكرة أو رأي ما، ويريد أن يلفت أنظار السامعين إليها، أو يريد أن يُحِثَّ المخاطبين على عمل ما، فإنه يلجأ إلى استخدام أساليب حجاجية يقنع بها جمهوره، لذلك قيل: "إن الحجاج مجاله الخطابة أو هو أقرب إلى الخطابة"(١٥).

شيء آخر يجمع بين الحجاج والخطابة هو أن كليهما لا ينتشر إلا في جوٍّ يعتمد على الحرية، فالحجاج "يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل"(١٦)، ولا تسود الخطابة هي الأخرى إلا في العصور التي تحدث فيها تغيرات فكرية وسياسية، حيث يَتْبَع هذه التغيرات عادة نهضة في الخطابة تواكب هذه التغيرات، وتقنع الناس بها، أو تنشأ تيارات معارضة، ويكون لها خطباؤها الذين يدافعون عنها، ولكل منطقه الخاص ورؤيته التي يرى فيها مصالحه، ويوظف الخطابة لخدمة هذه المصالح.

العلاقة بين الخطابة والحرية علاقة طردية، بمعنى أن الخطابة تزداد في كل أمة تتمتع بالحرية، "إنما تزدهر الخطابة في عصور الحرية الفكرية والقولية"(١٧)، وكل أمة غلبت على أمرها تقل فيها الخطابة وتركد، و"إذا كُبِتَتِ الحريةُ ضَعُفتِ الخطابةُ"(١٨)، من هذا المنطلق كان عصر صدر الإسلام من العصور التي انتشرت فيها حرية الرأي بسبب نشأة الأحزاب في الدولة الإسلامية، ولذلك ازدهرت الخطابة في هذه الفترة، لحاجة الناس إلى الإقناع، حيث ظهر لكل حزب من هذه الأحزاب أنصار ومعارضون، والكل يحاول أن يستميل إليه أكبر عدد من المؤيدين، "إن الحرية التي سادت المسلمين في صدر الإسلام كانت داعيًا للقول البليغ"(١٩).

كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أبرز خطباء الصحابة في العصر الإسلامي على الإطلاق، واستنادًا إلى ذلك وقع اختياري على خطبة الجهاد(٢٠) للإمام علي، باعتبارها شكلًا ناجعًا من أشكال الحجاج، وإن كان الحجاج في النظرية الغربية مرّ بمراحل متعددة من التطور، بداية من بيرلمان وتيتيكاه،

وتولمين، ومرورًا بديكرو وأنسكومبر، وكذلك ميشال ماير، فإنني قد اعتمدتُ في معالجة هذه الخطبة على دراسة الحجاج من منظور بيرلمان وتيتيكاه، ولعل السبب في ذلك هو تركيزهما على الحجج ذات البعد البلاغي، و"الحجاج كما يعرفه بيرلمان يتمثل في مجموعة من التقنيات الخطابية الموجهة إلى إقناع الجمهور الخاص أو الكلي بالآراء والقضايا المعروضة عليه"(٢١)، ومن ثم فالهدف من مقاربة هذا النص من الخطابة العربية، هو دراسة الأساليب الحجاجية التي وظَّفها عليّ في هذه الخطبة؛ لكي يحظى بتأييد أتباعه، وإقناعهم بضرورة الجهاد للدفاع عن الأنفس والأعراض والأموال.

إن خطب الإمام علي، من وجهة نظري، كانت بمثابة التربة التي نبتت فيها البذور الأولى للحجاج في النثر العربي حيث اتكأ الإمام عليه بقصد أو بغير قصد، ومن ثم فإن فن الحجاج العربي قد انبثق من رحم الخطابة العربية؛ فجاءت دراستي هذه لتتبع ذلك الجانب محاولًا استقصاء ما ورد في خطبة الجهاد للإمام علي مما له علاقة بأساليب الحجاج، واضعًا في اعتباري أن عنايتي في هذه الدراسة بالناحية التطبيقية أكثر من الحديث عن الجانب النظري العام، وقد جاءت الموضوعات موزعة على النحو التالي:

بلاغة الخطابة عند علي بن أبي طالب

أشار الباحثون قديمًا وحديثًا إلى بلاغة علي، كما أكدوا على قدراته البيانية بصفة عامة، وبراعته الفائقة في فن الخطابة بصفة خاصة، يقول ابن أبي الحديد: "أما الفصاحة فهو إمام الفصحاء وسيد البلغاء... ومنه تعلم الناسُ الخطابة والكتابة"(٢٢)، ويذكر الجاحظ عن بعضهم تقدم علي في هذا المجال

على الخلفاء الراشدين: "كان أبو بكر خطيبًا، وكان عمر خطيبًا، وكان عثمان خطيبًا، وكان عليّ أخطبهم"(٢٣).

كما ذكر بعض القدامى أن عليًّا من أكثر الصحابة التي رُويت خطبه ورسائله، وحُفِظَت في بطون المصادر الأدبية المختلفة، ومن ثم أكثروا من الاستشهاد بكلامه دون غيره من الصحابة، وهو ما فعله، على سبيل المثال، الجاحظ وابن أبي الحديد ويحيى العلوي وغيرهم، و"حسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العُشْر، ولا نصف العشر مما دُوِّن له"(٢٤).

ولم يقتصر الأمر على إشادة القدامى بخطابة علي كمًّا وكيفًا فقط، وإنما أشار المحدثون إلى ذلك أيضًا، يقول أحمد حسن الزيات: "ولا نعلم بعد رسول الله فيمن سلف وخلف أفصح من علي في المنطق، ولا أبلَّ ريقًا في الخطابة، كان حكيمًا تتفجر الحكمة من بيانه، وخطيبًا تتدفق البلاغة على لسانه، وواعظًا ملء السمع والقلب، ومترسلًا بعيد غور الحجة، ومتكلمًا يضع لسانه حيث شاء، وهو بالإجماع أخطب المسلمين وإمام المنشئين، وخطبه في الحث على الجهاد... تعد من معجزات اللسان العربي، وبدائع العقل البشري"(٢٥).

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل موقف حجاجي من مواقف الحرب التي دارت بين علي ومعاوية، رضي الله عنهما، وكانت الخطابة في هذا الموقف بلا شك من أقوى الأسلحة الإعلامية؛ لحاجة من يخوضون الحرب للإقناع، حيث اختلف موقف المسلم الذي كان يجاهد المشركين والكفار مع الرسول، صلى الله عليه وسلم، عن المسلم الذي يحارب أخاه المسلم في هذه الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية.

لما كثرت الحروب والنزاعات بين الفريقين كثرت الخطب وزادت جذوة الخطابة، لما للخطبة من دور قوي في استمالة الناس وتوجيه الجماهير نحو الهدف الذي يريده الخطيب، لقد" احتاج قادة الفريقين وزعمائهم إلى الخطابة يقوون بها الروح المعنوية، ويخلقون في نفوسهم (يقصد المحاربين من العرب والمسلمين) الإيمانَ بأنهم يحاربون من أجل الحق ... وكان المتحاربون في حاجة إلى هذه الروح حتى تشتد سواعدهم على قتل إخوانهم وذوي قرباهم"(٢٦).

لقد نشأت بين القادة معارك كلامية قبل المعارك الحربية، فاشتعال الحرب بين أنصار علي ومعاوية أدّى إلى انطلاق الخطابة بين الفريقين، ولجوء كل منهما إلى تحميس أتباعه وإقناعهم بخوض الحرب أو ردِّ العدوان، ومن ثم "برز غرض الجهاد والتحريض عليه أكثر من أي غرض آخر، برز في معارك علي ومعاوية"(٢٧).

موضوع الخطبة وسياقها التاريخي

اللغة مثل الكائن الحي تتأثر بالظروف المحيطة بالإنسان وتؤثر فيها، ونحن "نعيش دائمًا وضعية سجالية، حيث الأسلحة الأنجع إنما هي أسلحة الكلام"(٢٨)، ولا شك أن هناك مواقف حاسمة في حياة الإنسان تتحكم في تحديد مصيره ومصير أمته، من ذلك مواقف الحرب والصراع بين الأنصار والمعارضين، وقد انقسم المسلمون في عهد علي إلى عدة فرق، و"كان المسلمون بذلك أحزابًا ثلاثةً: حزب مع أمير المؤمنين علي، وحزب مع معاوية الخارج عليه، وحزب خارج على الفريقين، وكلٌّ له أنصار من الخطباء المصاقع، يؤيد فكرته، وينصر دعوته" (٢٩).

إن الإقناع والحرب النفسية سلاحان لا يقلان أهمية عن السيوف[٣٠]، وتصبح الخطابة في هذه اللحظة موقفًا حجاجيًّا؛ لأن كل فريق يحاول أن يستعد للدفاع عن رأيه بالغالي والنفيس، و"الجهاد في سبيل الله فتح للخطابة بابًا واسعًا"[٣١]، وكان لعلي شأن عظيم في هذا الباب، يقول ابن أبي الحديد: "اعلم أن التحريض على الجهاد والحضّ عليه قد قال فيه الناس فأكثروا، وكلهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين "[٣٢]، (يقصد عليًّا).

يستخدم القائد اللغة باعتبارها أحد الأسلحة المهمة لتحميس جنوده، و"غالبًا ما تكون اللغة هي طليعة الجيوش"[٣٣]، ومن أغراض الخطابة قبل بدء المعارك "إرشاد المقاتلين إلى ما يجب أن يفعلوه في الحرب، كما يفعل القائد قبل الهجوم يوصي جنده، ويمنحهم نصائحه"[٣٤].

من هذا المنطلق وضع معاوية بن أبي سفيان خطة لسفيان بن عوف الغامدي، وهو قائد الغارة على أنصار علي في الأنبار، وواضح من كلام معاوية أنه لا يريد للجيش أن يهاجم المدن الكبرى مثل الكوفة، وإنما يوصي قائده بمهاجمة المدن الصغرى مثل الأنبار، ورأى معاويةُ أن هذه الغارات ستصيب الناس في العراق بالخوف والرعب، خاصة عندما تتسبب في القتل والتخريب وسلب الأموال، حيث أمر معاوية بتجهيز جيش ذي صلابة وعتاد لتنفيذ هذه المهمة، يقول سفيان الغامدي: "دعاني معاوية، فقال: إنّي باعثُك في جيش كثيفٍ، ذي أداةٍ وجَلادة، فالزم لي جانب الفُرات... فامضِ حتى تُغير على الأنبار... ثمّ أقبل إليَّ، واتق أن تقرُب الكوفة... إنَّ هذه الغارات يا سُفيان على أهل العراق تُرَعِّب قلوبَهم، وتُفْرِح كلَّ مَنْ له فينا هوًى منهم، وتدعو إلينا كلَّ مَنْ

خاف الدوائر، فاقتل مَنْ لقيتَه ممن ليس هو على مثل رأيك، وأخرِبْ كلَّ ما مررتَ به من القرى، واحرَب[٣٥] الأموال، فإنّ حَرَبَ الأموال شبيه بالقتل، وهو أوجع للقلب"[٣٦].

بعد ذلك خطب معاوية في الناس خطبة قصيرة جدًّا دعا فيها أنصاره إلى ضرورة الحرب مع سفيان، ومساندته في هذا الأمر المهم، يقول معاوية : "أيها الناس، انتدِبُوا[٣٧] مع سفيان بن عوف، فإنه وجه عظيم فيه أجر، سريعة فيه أوْبتكم إن شاء الله"[٣٨]، وعلى الرغم من وجازة كلام معاوية إلا أن كلماته قوية وحماسية لذلك كانت الاستجابة لها سريعة، فهذه الكلمات القليلة قد لاقت قبولًا عند أنصاره، ولا غرو في ذلك حيث "كانت الروح المعنوية في نفوس أهل الشام أقوى وأشد منها في نفوس أهل العراق"[٣٩].

لا يحتاج معاوية إلى كثرة الخطابة، وإنما يحتاج إليها من أراد إقناع أنصاره بالحرب، حيث "كان جيش معاوية ذا طاعة عمياء، لا يسأل لماذا قام، ولا لماذا قعد" [٤٠]، ومن ثم بدأ سفيان بتنفيذ خطة معاوية، وتحرك جيشه ونفّذ هجومه، كما خُطِّطَ له.

على الجانب الآخر أتى علي في هذه الظروف الصعبة، وقام خطيبًا في الناس لإقناعهم بضرورة القتال، حيث يذكر المبرد "أن عليًّا، رحمه الله، انتهى إليه أن خيلًا لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملًا له، يقال له: حسان بن حسان، فخرج مُغْضَبًا يجر ثوبه حتى انتهى إلى النُّخَيلة[٤١]، واتبعه الناس"[٤٢]، ومن ثم، فالخطبة موجهة إلى الناس بصفة عامة، وليست إلى طائفة معينة منهم.

لكنَّ عليًّا قد شعر بتقاعس أهل العراق؛ لأنهم ربما سئموا من كثرة الحروب، حيث حاربوا طلحة والزبير في معركة الجمل سنة ٣٦هـ، وحاربوا أنصار معاوية في معركة صفين سنة ٣٧هـ، وحاربوا الخوارج في معركة النهروان سنة ٣٨هـ، وكلما أحس علي بتخاذلهم أَكْثَرَ من تحميسهم وتكرار الخطب على مسامعهم، ومن ثم لزم الأمر أن يُصرّ في دعوته لهم على أن يقفوا جنبًا إلى جنبٍ خاصة عندما يتعرضون للعدوان.

ومع ذلك ظهر الخلاف بين أنصار علي، وحاول الإمام في هذه الحالة استخدام أشد وسائل الحجاج نجاعة؛ لكي يقنع أهل العراق بالدفاع عن أنفسهم، وصد كل أشكال الهجوم من قبل أهل الشام، كما "أن أصحاب علي قد خذلوا خليفتهم ... فاضطر إلى أن يرقى ذرا المنابر، وأن يرسل فيهم الصيحة تلو الصيحة يحرضهم على مناجزة أعدائه"(٤٣)، وقد أشار معاوية نفسه إلى بعض الأشياء التي أعانته على علي، يقول: " كان (يقصد عليًّا) رجلًا يُظْهِرُ سرَّه، وكنت كَتُومًا لسري، وكان في أخبث جندٍ وأشده خلافًا، وكنت في أطوع جندٍ وأقله خلافًا"(٤٤).

على الرغم من تمتع معاوية بفروق فردية لم تكن موجودة في علي، فإن عليًّا أيضًا يتسم بقدرات لم تكن لدى معاوية، لقد كان معاوية سياسيًّا بارعًا، و"لم يكن (علي) ذا حزم وشدة، ولا ذا دهاء ومكر، واستطاع معاوية أن يضم إليه ولايات كثيرة أخرى ... فكان ملكه يتسع، وملك علي يضيق، وأخيرًا غزا معاوية العراق"(٤٥)، وكان عليّ يتسم بالبلاغة والخطابة، فقد رأى بعض الباحثين " أن عليًّا كان أبْيَنَ من معاوية قولا، وأفصح منه لسانًا"(٤٦).

مقدمات الحجاج

ألقى علي خطبته في أجواء مليئة بالخلافات، وبعد أن أنهكت الحروب أنصاره، ففترت همتهم، وقلّ أمله في استجابتهم للقتال، فما الحيلة التي يلجأ إليها علي؛ ليستنهض نفوسهم إلى الجهاد؟ وهو في الوقت نفسه يرى أنصار معاوية تكثر غاراتهم، وينالون من أنصاره، صباح مساء، لا شك أنه سيستميت في إقناعهم بشتى الطرق، ومن ثم نحتاج إلى تحليل الأساليب الحجاجية التي استخدمها علي في خطبته في ظل هذا السياق المتوتر والتطورات الراهنة.

للحجاج مقدمات يبدأ منها، وهي نقطة انطلاق للاستدلال، و"الملاحظ أن الفعل الحجاجي لا يتمثل في تشكيل الرأي وصياغته في قالب حجاجي فقط، ولكنه يتمثل بصفة خاصة بدعم هذا القالب الحجاجي بعنصر مقبول سابقًا من المتلقي"[٤٧]؛ لكي يضمن الخطيب أن يسلم السامع بالقضايا التي سيطرحها عليه، وتبقى هذه المقدمات مسلمات مشتركة يقبلها السامعون، كالوقائع والحقائق والقيم والمواضع والافتراضات، وقد استخدم علي معظمها، وبرع في ذلك، وفيما يلي نتناول المقدمات التي وردت في خطبته:

١ – الوقائع

إن من بلاغة الحجاج أن يبدأ المتكلم حجاجه من نقطة لا يختلف عليها اثنان، ومن ثم يستخدم المتكلم في سياق حجاجه مقدمات يبني عليها استدلاله؛ لكي يقنع الآخرين بها، وهذه المقدمات تشكل موجهات حجاجية وحاملًا للاتفاق، ومن هذه المقدمات، كما يرى بيرلمان وتيتكاه، الوقائع، وتمثل ما هو مشترك بين

الناس، وفيها ما هو عياني، وهو الأكثر، وما هو مفترض، أي: الوقائع المحتملة(٤٨).

لقد اتخذ علي من ذكر الأحداث التي تعرض لها أنصاره في الأنبار وسيلة لإقناع المخاطبين بضرورة ردّ العدوان، كما عبّر عن ذلك تعبيرًا مناسبًا للموقف الحرج الذي صار إليه أنصاره بعدما دعاهم إلى الجهاد، فهو يقول: "حتى شُنّت عليكم الغارات"(٤٩)، وشَنَّ الغارة على عدوه، أي أغار عليه من كُلِّ ناحية(٥٠)، كما يُصبُّ الماء ويبث ويفرق من كل وجه، مما يدل على كثرة هذه الغارات وانتشارها، فهو يشير إلى استحضار صور الحرب الموجودة في كل مكان، لقد تسببت الغارة في قتل الكثير من المسلمين الصالحين، يقول علي في إحدى روايات الخطبة: "هَذا أَخُو غامد قد وَردت خيله الأنبار، وَقتلُوا حسان بن حسان، ورجالًا مِنْهُم كثيرًا وَنسَاءً"(٥١).

كما بيّن على عواقب الاستسلام الذي مُنِي به مستمعوه عندما أوضح أنهم يفرطون في حقوقهم حتى أنهم لم يستطيعوا الدفاع عنها، لذلك أصبحت أرضهم مستباحة للأعداء، وصاروا غنائم لغيرهم، وإنما وصلوا إلى ذلك بسبب تقاعسهم؛ لأنهم رضوا بالذل والهوان، وأضحوا لا يستطيعون الذود حتى عن أنفسهم وأعراضهم.

حاول علي أن يسرد الوقائع بطريقة تجعلها تثير الحس الديني لدي المخاطبين لحملهم على رد هجوم الأعداء بلا تردد، فهو يستثمر قداسة الدين في نفوس سامعيه، وقدرته على تعديل سلوكهم للدفاع عن أرضهم، و"إذا أراد الخطيب أن يثير عوامل الأسى والشجن في نفوس سامعيه، وأن يظهر ما في

نفسه من آلام ذَكَرَ المحنة وآثارها في النفس وآلام وقْعِها، ثم ذكر وقْعَها في نفسه خاصة، وما ناله بسببها من آلام"(٥٢).

هذا ما صنعه علي إذ أخذ يوضِّح أثر هذه الوقائع في الناس عامة، ووقْع هذه الأحداث في نفسه أولا، وما خلَّفته عنده من آثار نفسية جسيمة نتيجة عصيانهم لرأيه، مع أنه قد فعل ما عليه أمام الله ورعيته، وما كان غاشًّا لهم، يقول: "وددت أن الله قد أخرجني من بين ظهرانيكم وقبضني إلى رحمته من بينكم، والله لوددت أني لم أركم، ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندمًا، قد ورَّيتم صدري غيظًا، وجرّعتموني الموت أنفاسًا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان"(٥٣).

أراد علي أن يثير نقمة المخاطبين تجاه الهجوم الذي قام به أنصار معاوية، فقد يرى الخطيب أن الجماعة التي يخاطبها خنسة فاترة، وأن الأمر الذي يدعوهم إليه خطير، يحتاج إلى إثارة الغضب؛ ليوقظ تلك السجايا من رقدتها، والطريق لذلك أن يذكر الإهانة ويعظمها، ويصورها في صورة مذكية للحفائظ، مثيرة للهمم، وأن يذكر العار الذي يلحق الجماعة إن لم تتحفز لغسل تلك الإهانة بالذود عن حماها(٥٤)، يقول علي: "فلو أن امرأً مسلمًا مات من بعد هذا أسفًا، ما كان عندي به ملومًا، بل كان به عندي جديرًا"(٥٥)، كل ذلك؛ ليحمّس هؤلاء الأنصار لردِّ العدوان ودفع الظلم عن أنفسهم وديارهم، وأنهم إن لم يجاهدوا، لم يتركهم عدوهم، بل يُغِير عليهم كما حدث بالفعل، فلا خيار أمامهم إلا الجهاد.

قد استطاع علي بخطبته هذه أن يثير غريزة المقاتلة، تلك الغريزة المتغلغلة في النفس العربية، والتي لا تعدل بها شيئًا سواها، بذكر إباحة الحمى، وانتهاك الحرمات، وقتل النساء والذرية، وببيان أنه لا يرضى بهذه الحال إلا من يرضى بالمنزل الهون؛ لكي يستفز الجماهير، ويحثهم على قتال أعدائهم، فالخطبة كلها إثارة لتلك الغريزة(٥٦).

اتضح مما سبق أن إحضار علي لتلك الوقائع، هو أهم وسيلة للتأثير المباشر في الوجدان، فضلًا عن نتائجها في حفز الهمة وتحريك الإرادة (٥٧).

٢- الحقائق

من المقدمات الحجاجية أيضًا، فيما يرى بيرلمان وتيتكاه، الحقائق، ولكل مجتمع مفاهيم لها مصداقية لديه، وتصورات تؤثر في سلوكه، ومنها كذلك الثوابت الدينية التي تتحكم في اختيارات الناس، والحقائق "مدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية (حقائق دينية مفارقة للتجربة)، وقد يعمد الخطيب إلى الربط بين الوقائع والحقائق من حيث هي موضوعات متفق عليها؛ ليحدث موافقة الجمهور"(٥٨)، وكلاهما لا يكون عرضة لإنكار السامع، فمن شروط الحقائق والوقائع ألا تكون قابلة للطعن أو النقد؛ لأن الوقائع قد شاهدها الناس بأنفسهم، والحقائق الدينية لا يتطرق إليها الشك.

من هنا أقام علي الحقيقة التي بدأ بها حجاجه على مفهوم ديني، وهو أن الجهاد ذروة سنام الإسلام، من التزم به دخل الجنة، ومن تركه ألبسه الله ثوب الذل، وربط علي بين الوَقْعَة، وهي هجوم جيش معاوية على الأنبار بالعراق، وبين الحقيقة، وهي الجهاد؛ ليحث أنصاره على القضية التي يريدها، وهي

الحرب لرد العدوان، ولا شك أن هناك الكثير من الحقائق التي يمكن أن تكون انطلاقًا لحجاج ناجح، وتعد الحقائق الدينية أشد إقناعًا من غيرها عندما يُبْنى عليها الحجاج، وهي تستمد حُجِيَّتَها من قبول المتلقي لها، وقد برع علي في الاعتماد على الحقيقة الدينية، حيث قال في مطلع الخطبة: "إن الجهاد[٥٩] باب من أبواب الجنة"[٦٠].

٣- القيم

يرى أرسطو أن البراهين والحجج الصناعية في الخطابة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، "الأول يقوم على الخاصيات الأخلاقية للخطيب، والثاني يقوم على الأحوال النفسية للمستمعين، والثالث على خاصيات الخطاب نفسه"[٦١]، ويهمنا هنا القسم الثاني الذي يركز على القيم التي تجمع بين الخطيب والمستمعين، بحيث يستطيع الخطيب أن يثير مشاعر المخاطبين، ويستميل عواطفهم.

يستمد الحجاج أحيانًا قوته من استناده إلى هذه القيم، وإذا كانت العلوم الطبيعية تعتمد على البراهين والقوانين العلمية فإن العلوم الإنسانية تعتمد على القيم الحجاجية، والقيم تنقسم إلى قسمين: قيم مجردة مثل قيمة الشجاعة والعدل، وقيم محسوسة من قبيل الوطن (مصر مثلا) والمسجد والكنيسة[٦٢]، وقد تختلف القيم من مجتمع لآخر، كما أن هناك مراتب لتصنيف القيم أو ما يُسمَّى الهرميات التي ترتبط بنسبية القيم، و"كل جماعة وكل تجمع بشري، ينتظمان حول قيم مخصوصة"[٦٣].

يختار الخطيب النابه من القيم ما يؤثر في مخاطبيه، ومن ثم يستنهض هممهم؛ ليدافعوا عنها، "إن استدعاء القيم يشكل في حد ذاته حجة؛ فهو يؤطر

الواقع بقوة؛ إذ تمتلك القيم غالبًا حمولة واسعة، كما تمتلك قوة حثّ نافذة"[٦٤]، ولذلك كان علي حريصًا على إثارة النخوة والشهامة في نفوس سامعيه عندما تحدث عن هجوم أصحاب معاوية على نساء العراق، يقول علي: "لقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المسلمة والأخرى المعاهدة، فينزع حَجْلَها[٦٥] وقُلْبَها[٦٦] ورِعَاثَها[٦٧] ثم انصرفوا وافرين، ما كُلِمَ رجل منهم كَلْمًا"[٦٨]، فهو يحرك فيهم عاطفة الغيرة على الأعراض، ويبين لهم ما حدث للنساء من امتهان الكرامة دون حرص من الرجال على صيانتها.

فهو هنا يُحَاجِجُهم بقيمة النجدة والشجاعة التي هي من شيم العرب على مر الأزمان، في الجاهلية والإسلام، فهم يَعُدُّون المرأة ذروة شرفهم، ولذلك كانوا حريصين على صون عِرضهم من الدنس، وكان العرب في الجاهلية إذا تعرضت نساؤهم للاعتداء اندلعت الحرب بينهم لسنوات طويلة، وكان المسلمون الأوائل يفعلون أيَّ شيء في سبيل المحافظة على هذا الأمر، حتى لو اقتضى ذلك الجهاد في سبيل الله، كما حدث في غزوة بني قَيْنُقَاعَ [٦٩].

اختلف الباحثون حول أقوى الطرق تأثيرًا في الجماهير، فهل المؤثر أكثر في سلوك الجماعات الوجدان أم الفكر؟ هناك نوعان من الحجاج يعملان في المجتمعات: حجاج عقلي يؤثر في الإدراك، وحجاج عاطفي يعمل على قيادة الأهواء، يقوم النوع الأول على تقوية جانب الموضوعية في دراسة القضايا محل النقاش، أما الحجاج الثاني فيرمي إلى دغدغة العواطف[٧٠]، والرأي الراجح أن هذا النوع أعلى تأثيرًا في توجيه الجماعات من النوع الأول، ومن ثم فإن الخطيب

الناجح يعلم "أن الجماعة تنقاد بالاستهواء والتأثير أكثر مما تنقاد بالمُحاجَّة والإقناع"(٧١).

هذا يجعلنا نتساءل عن الدور الذي تقوم به العواطف في الحجاج، وجدير بالذكر "أن العواطف تضطلع بدور فعلي في الحجاج لا يختلف كثيرًا عن الدور الذي تنهض به الحجج القائمة على الأقضية والمقدمات"(٧٢)، فأحيانًا توجد الأدلة العقلية التي تؤكد صحة عمل ما، لكن المخاطَب لا يجد عزمًا كافيًا للإقدام على هذا العمل، "فإذا ما اعتمد الخطيب على الإقناع القلبي استطاع أن يوقظ العزائم، واستطاع أن يسيطر على المشاعر"(٧٣).

من هنا أدرك علي أن الحجاج العقلي وحده لا يكفي، بل لا بد من استمالة عواطف الجمهور حتى يعملوا بما اقتنعوا به، ولقد استطاع أن يزاوج بين الإقناع العقلي والاستمالة العاطفية، وذلك حسب المخاطَب الذي يوجه إليه الكلام، وقد لاحظ أحد الباحثين أن خطاب علي للخوارج الذين اتهموه بسوء التدبير كان مغايرًا لخطابه لأنصاره المتقاعسين عن نصرته، بمعنى أنه مال إلى استعمال الحجاج العقلي مع الخوارج، واستخدم الحجاج العاطفي مع أنصاره، و"إذا كان حواره للخوارج يتطلب الحجة والإقناع لاتهامهم لسياسته، فإن حواره مع أهل العراق يتطلب التحميس وتحريك الهمم والإثارة العاطفية، وقد برع في ذلك"(٧٤).

ومن ثم تعددت مظاهر الحجاج العاطفي التي اعتمد عليها عليّ في خطبته؛ لكي يخدم قضيته، وقد ذكرت سابقًا أنه أراد إظهار نخوة مُحدِّثيه على النساء

التي أُهينت، كما أنه كان "يلجأ إلى العاطفة الدينية يُثِيرها فيُظْهِر أعداءه في مظهر المارقين عن الدين، والهادمين لأسسه ومبادئه"(٧٥).

ونصوص الخطبة دالة على ذلك، منها قوله رضي الله عنه: " فيا عجبًا من جد هؤلاء القوم في باطلهم، وفشلكم عن حقكم، فقبحًا لكم وترحًا، حين صرتم هدفًا يرمى، وفيئًا ينتهب، يُغار عليكم ولا تَغِيرون، وتُغْزَون ولا تَغْزُون، ويُعْصَى الله وتَرْضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: حمّارة القيظ(٧٦)، أمهلنا ينسلخ عنا الحرّ، وإذا أمرتكم بالسير في البرد قلتم: أمهلنا ينسلخ عنا القرّ، كلّ ذا فرار من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر ... وددتُ أن الله قد أخرجني من بين ظهرانيكم وقبضني إلى رحمته من بينكم. والله لوددتُ أني لم أركم، ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندمًا، قد ورَّيتم صدري غيظًا، وجرّعتموني الموت أنفاسًا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان"(٧٧).

يمتلئ النص السابق بالعواطف التي تبين حرص علي على أتباعه من مغبة الغارات المتكررة التي تسببت في ضياع الأمن، وأصابتهم بالذل، ومن ثم وبَّخَهم لعدم نصرتهم للحق في الوقت الذي نَشِطَ فيه أنصار معاوية في باطلهم، وخوف أنصار علي من الحرب صيفًا وشتاءً، والغضب الذي أصاب عليًّا حتى أنه تمنى عدم رؤيتهم ومعرفتهم، وكل هذه الأحداث كانت جديرة بإثارة المشاعر لديهم.

وربما تكون الظروف المحيطة بالخطبة هي السبب وراء اعتماد علي على الحجاج بإثارة العواطف لدى مخاطبيه، فالموقف موقف حرب، ويحتاج إلى

أساليب مناسبة للخروج من الأزمة، وصد العدوان والذبّ عن الديار والأعراض، ذلك أن الخطب القضائية والمناظرات والخطب العلمية يلائمها الحجج المنطقية، "أما خطب الحرب، وبعض الخطب السياسية والدينية والقضائية والحفلية، فيناسبها العزف على أوتار العاطفة"(٧٨).

طرق عرض المقدمات

إن الطريقة التي يعرض بها المتكلم خطابه تؤثر في المخاطب، ويكون لها دور كبير في إقناعه، من هنا كان لاختيار الطريق الخاصة بعرض مضمون الخطبة علاقة قوية بالحجاج، حيث يتَّبِعُ المتكلم أساليب دون أخرى، ليس لأهداف جمالية فقط، وإنما لأسباب حجاجية كذلك، ومن الطرق التي استخدمها علي في خطبته ما يلي:

الحجاج بالتكرار

يعد التكرار أحد الوسائل الأسلوبية التي يستعملها المتكلم للتأكيد على المعنى الذي يريد إيصاله إلى ذهن المتلقي، وله عدة وسائل: منها التكرار اللفظي، ويقوم على إعادة الكلمة أو الجملة نفسها أكثر من مرة في موقف واحد، ومنها أيضًا التكرار المعنوي، و"هو التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة؛ ليتضح ويقوى تأثيره، ولا عيب في هذا التكرار المعنوي إذا ما تغايرت عباراته"(٧٩).

على الرغم من أن للتكرار دورًا في بلاغة العبارة، فإن له قوة حجاجية أيضًا حيث يستعين به الخطباء في الإقناع، و"من طرائق عرض الخطاب عرضًا حجاجيًّا اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها"(٨٠)، إن للتكرار دورًا كبيرًا في تمكين الأفكار في وجدان المخاطبين، لذلك يلجأ إليه كثير من الخطباء، "إن التوكيد والتكرار عاملان قويان في تكوين الآراء وانتشارها... وبهما يستعين رجال السياسة والزعماء كل يوم في خطبهم" (٨١).

يحتاج الخطباء، كما سنرى، إلى أدلة وبراهين خطابية لإقامة حججهم، وكذلك يكونون في حاجة إلى تفنيد دعوى المشككين في كلامهم، وفي كلتا الحالتين يمكن أن يعتمد الخطيب على التكرار، و"الخطيب الناجح يشرح الأدلة التي يسوقها شرحًا وافيًا يُكْثِر فيه المترادفات، ويُعِيد بعض الجمل، ويُلِحُّ على تركيز معان خاصة وجزئيات وأمثلة توضح الفكرة، وتُثَبِّتها في أذهان سامعيه"(٨٢)، وكل ذلك يَدُلُّ على اهتمام المتكلم بمضمون الجمل المكررة من ناحية، ويترك تأثيره القوي في المخاطَب من ناحية أخرى.

يرى بروطون أن التكرار هو إحدى طرق الإلحاح، وهو يسمِّيه حجة التفخيم، ويعتبره شكلًا مقنعًا جدًّا من أشكال تقديم الواقع، يقول: "لأجل خلق الحضور من الضروري الإلحاح طويلًا على بعض العناصر التي لا تكون مؤكَّدة، وذلك بتمديد الانتباه الذي نُولِيه إليها، فنُكَثِّف من حضورها في وعي المتلقين، فالإلحاح يمكن أن ينجم عن التكرار"(٨٣).

استخدم علي التكرار اللفظي في خطبته، فقد نبَّه أنصاره على ضرورة البدء بالغزو قبل أن يقوم جيش معاوية بذلك، كما حدث بالفعل، يقول علي: " ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلًا ونهارًا، وسرًّا وإعلانًا، وقلت لكم: **اغزوهم قبل أن يغزوكم**، فوالله ما **غزي** قوم قط في عقر دارهم إلا ذلُّوا فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهريًّا، حتى شنّت عليكم **الغارات**"(٨٤)، فضلًا عن التكرار المعنوي بين الغزو والغارات.

ثم يكرر علي هذا الكلام بصيغ أخرى في مقطع آخر من الخطبة، يقول: " **يُغار عليكم ولا تَغيرون، وتُغْزَون ولا تَغْزُون**"(٨٥)، ويقول لأنصاره أيضًا:

"كلّ ذا **فرار** من الحر والقر. فإذا كنتم من الحر والقر **تفرون**، فأنتم والله من السيف **أفر**"(٨٦)، يؤكد علي هنا على أن أنصاره يفعلون أعمالًا لا تَلِيق بالمحاربين، فهم دائمًا وأبدًا لا يقومون بقتال عدوِّهم على الرغم من كثرة الغارات التي تُشَنُّ عليهم، وإنما أنصار علي يقومون في مقابل ذلك كله بالفرار.

استخدام التعبير الحسي دون المجرد

ينتقي الخطيب من المقدمات الحجاجية ما يتناسب مع مخاطبيه، ويختار منها ما يتوافق مع ظروف القول ومتطلباته، من ذلك استحضار عناصر الحجاج وجعلها أمام أعين المستمعين؛ ليؤثر في وجدانهم تأثيرًا مباشرًا، ومما يساعده على ذلك أيضًا الاستعانة بالألفاظ التي تشير إلى المحسوسات المادية بدل المجردات، حيث يميل المتكلم إلى "استخدام اللفظ الحسي المجسد دون اللفظ المجرد"(٨٧)، والمحسوس هو ما يُدْرَكُ بالحواس الظاهرة، ويقابله المجرد الذي يُدْرَكُ بالذهن دون هذه الحواس، إن من اهتمامات الخطيب أن يكشف عما يراه ضروريًّا لإقناع مخاطبه فينقله من حيز الغياب إلى حيز الحضور، "كما أن عليه أن يشدد على بعض العناصر التي هي حاضرة في أذهان سامعيه فيجعلها أكثر حضورًا فيها... إن بعض شيوخ الخطابة في الغرب ممن يسلكون أيسر السبل إلى التأثير يوصون بالالتجاء إلى استخدام أشياء مادية من أجل التأثير في جمهور السامعين، مثل تلويح أونتوان Antoine بثوب القيصر الملطخ بالدم في وجوه الرومان"(٨٨).

لقد ذكر على في خطبته أن جنود معاوية كانوا يدخلون على النساء فينزعون حليهن، كما أوضحت الدراسة سابقًا، حيث ركز عليّ على انتزاع الحلي

من أرجل النساء ومعاصمهن وآذانهن وصدورهن، وفضلًا عن أن ذلك من أبشع صور الإهانة للنساء، فإنها كلها تعبيرات حسية تجسد ما يرى بالعين ويشاهد، ومن ثم نلاحظ أن عليًّا يلجأ إلى التعبير بالألفاظ التي تدل على المحسوسات لإثارة المستمعين وحثهم على صون أعراضهم والدفاع عن نسائهم، واختيار علي للأفعال المضارعة (يدخل وينزع) مما يعمل على استحضار الصورة.

ما من حدث من الأحداث إلا وله مكان وزمان، ولكي يكتمل أي حدث لابد من ذكر ملابسات المكان والزمان، وهذا الأمر أيضًا من طرق عرض الخطاب، "إن مما يساعد على الإشعار بمدى حضور الحدث ذكر مكان ذلك الحدث وزمانه"(٨٩)، لقد ذكر علي مكان الأحداث (الأنبار) في خطبته، أما زمان الأحداث فقد ذكر الجاحظ، قبل نص الخطبة، أن زمان الأحداث عمومًا، هو زمن علي، أي أيام إمارته، يقول: "أغار سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي على الأنبار، زمان علي بن أبي طالب"(٩٠)، وإن لم يذكر زمن الوَقْعَة بالتحديد.

المزاوجة بين الخبر والإنشاء

ومن الأشكال اللغوية ذات البعد الحجاجي الجدةُ والتنوع في الأساليب بين الخبر والإنشاء، وهي تؤدي إلى جذب انتباه السامعين إلى الخطيب، حيث ينوع الخطيب أسلوبه، "فأحيانًا يأتي بكلامه في صورة استفهام، وأخرى في صورة تقرير، وثالثة في صورة طلب"(٩١).

وذلك متحقق في خطبة علي حيث بدأها بالجملة الاسمية التي تدل على الثبات والاستقرار مع تأكيدها بـ (إن)، يقول: "إن الجهاد باب من أبواب الجنة"(٩٢)، ثم يأتي بالجمل الإنشائية، مثل الأمر في قوله: "اغزوهم قبل أن

يغزوكم"(٩٣)، والنداء في قوله: "يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال"(٩٤)، والتقرير في قوله: "إذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر"(٩٥).

الحجاج حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتفاعلة، ولذلك يرى عبد الله صولة أن أهم ما جاء به كتاب (مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة) لبيرلمان وتيتيكاه هو "اعتبار الحجاج حوارًا بين الخطيب وجمهوره"(٩٦)، ومن الطرق التي استخدمها علي في عرض المقدمات أسلوب الحوار، ومن ثم يُظهر عليّ بعض أجزاء خطبته على شكل محادثة فعلية بينه وبين مخاطبيه، يقول: "قلتُ لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم"(٩٧)، ويقول أيضًا: "إذا أمرتُكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتُم: حمّارة القيظ، أمهلنا ينسلخ عنا الحرّ..."(٩٨)، هذا الحوار يجعل الخطبة أشد إقناعًا للمخاطبين من ناحية، ويلقي باللوم عليهم من ناحية أخرى.

وبناءً على ما سبق فإن خطبة علي تقوم على الحوار المُقْنِع، ومن ثم تعدُّ استثناءً بين نصوص الخطابة العربية، حيث يرى أحد الباحثين أن الخطابة العربية هي خطابة منافرة ومفاخرة ميالة إلى المدح والهجاء، ولم تعتمد الحوار الهادئ القائم على الحجة إلا في مناسبات محدودة، ولذلك ينتظر أن يكون عنصر الحجاج والبرهنة أضعف عناصر بنائها، غير أنه ينبغي أن ينظر للقضية حسب المقامات والموضوعات المتناولة(٩٩).

تقنيات الحجاج

يرى بيرلمان أن ثمة نوعين من طرائق الحجاج، طرائق الوصل وطرائق الفصل، الأولى تقرب بين العناصر المتباينة، والثانية تُحدث الوقيعة بين العناصر التي تشكل عادة كُلًا لا يتجزأ، ومن طرائق الوصل الحجج شبه المنطقية، والحجج المُؤَسَّسَة على بنية الواقع، والحجج المُؤَسِّسَة لبنية الواقع(١٠٠).

١- الحجج شبه المنطقية

أ- حجة التقسيم

يعدُّ حسن التقسيم من المحسنات المعنوية في البلاغة، و"التقسيم من الأساليب العريقة في اللغة العربية"(١٠١)، وله أنواع متعددة، ويهمنا منه هنا ما يرتبط بالحجاج، وهو "استيفاء أقسام الشيء بالذكر"(١٠٢) في الواقع أو في العقل، وتُسَمَّى الحجة التي تعتمد عليه بحجة التقسيم، وهي من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية، "لم المحاجة بالتقسيم؟ إن الغاية الأساسية منها حسب بيرلمان البرهنة على وجود المجموع، ومن ثمة تقوية الحضور، بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه"(١٠٣).

يقول علي لأنصاره: "إذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: حمّارة القيظ، أمهلنا ينسلخ عنا الحرّ، وإذا أمرتكم بالسير في البرد قلتم: أمهلنا ينسلخ عنا القرّ، كلّ ذا فرار من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر"(١٠٤)، يستخدم علي هنا أسلوب الاستدراج على طريقة التقسيم،

أراد علي أن يلزمهم بالحجة، ويقيم عليهم البرهان القاطع بأنهم يخافون من القتال، ويتحججون بحجج باطلة صيفًا وشتاءً.

يتضح من ردود أنصار علي عليه تراخيهم عن الجهاد، فعندما دعاهم إلى الحرب في الصيف، قالوا له: انتظرْ إلى الشتاء، ولما دعاهم فيه قالوا: انتظرْ حتى يذهب البرد، ومن ثم، فهم لا يريدون الحرب، وسينتظرون بهذه الطريقة حتى تمر السنة كلها دون أن يدافعوا عن أنفسهم؛ لأن السنة تقتصر عندهم على الصيف والشتاء [١٠٥]، وتصريحهم بعدم القتال حتى ينتهي الصيف ويمر الشتاء، هو تصريح مُبَطَّن بعدم الرغبة في القتال، فوجود أجزاء الشيء عن طريق التقسيم يدلّ على وجود الشيء نفسه.

ب- حجة التعارض

تستمد الحجج شبه المنطقية قوتها من قيامها على غرار البناء المنطقي، من ذلك حجج التعارض أو عدم الاتفاق، وهو نوع من القياس الخطابي، يلجأ إليه المتكلم؛ ليبرهن على قضية يريد إثباتها أو نفيها، ويتمثل ذلك في وضع ملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى، فهي خاطئة[١٠٦].

أدّى تكاسل أنصار علي عن الجهاد إلى اتهام قريش لعلي بعدم القدرة على الحرب، حيث ظنت قريش أن عليًّا لا يعلم شيئًا عن الحرب، وهو ما لم يقبله علي في حقه، ومن ثم كان لزامًا عليه أن يرد؛ ليثبت خطأ هذه المقولة، و"كثيرًا ما يضطر الخطيب إلى تفنيد ما قاله خصمه؛ ليمحو من النفوس أثره"[١٠٧]، كما أن عليًّا يعرف مكانة قريش وسيادتها، فهو قرشي ويعرف دورها في توجيه الناس

وصنع القرار، كما ذكر معاوية أنه فُضِّلَ على علي بأشياء ذكر منها، "كنتُ أحبّ إلى قريش منه"(١٠٨)، لذلك حرص على دفع الشبهة التي قالتها قريش عن نفسه.

يقول علي في آخر الخطبة: "حتى قالت قريش: ابن أبي طالب شجاع، ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم، وهل منهم أحد أشدّ لها مِراسًا أو أطول لها تجربةً مني؟ لقد مارستها وما بلغت العشرين، فهأنذا قد نيفت على الستين"(١٠٩)، وتؤكد نصوص السنة النبوية الشريفة صحة كلام علي، حيث رُوي عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دفع الراية إلى علي يوم بدر، وهو ابن عشرين سنة(١١٠).

ما سبق من كلام علي يدلّ على أن ثمة قضيتين متعارضتين، الأولى: أن عليًّا لا علم له بالحرب، والثانية: أنه حارب منذ العشرين حتى وقت الخطبة، وهما قضيتان متضادتان، كما ترى، ولابد من الأخذ بواحدة وترك الأخرى، وظروف الخطاب هنا تؤيد الاختيار الثاني، وتُقصي الاختيار الأول، وهو دراية علي بالحرب، وممارسته لها من سن مبكرة.

٢- الحجج المُؤَسَّسَة على بنية الواقع

هذا النوع من هذه الحجج يهتم بعلاقة الأشخاص بأعمالهم أو العكس، أو ما يُسَمَّى علاقة التواجد، ومنه على سبيل المثال حجة السلطة.

أ- حجة السلطة

تعد أخلاق الخطيب (إيتوس **Ethos**) أحد مستويات الحجج في الخطابة عند أرسطو، كما بينت الدراسة من قبل، وتتعلق بأحوال الخطيب والشكل الذي

يرسمه عن نفسه، ومدى تأثير ذلك على خطابه، أما حديثًا فيرى محمد أبو زهرة أن "لنفوذ الخطيب الأثر الفعال في تحريك الميول، وإيقاظ المشاعر ... إن النفوذ يجعل صاحبه متحكمًا في أهواء ومشاعر مَنْ يخاطبه"(١١١)، كما يرى بيرلمان وتيتيكاه أن هناك نوعًا من الحجج يربط بين الأعمال وأصحابها، و"هي حجة السلطة التي تستخدم أعمال شخص أو مجموعة أشخاص أو أحكامهم حجة على صحة أطروحة ما"(١١٢).

يوضح علي في النص السابق من خطبته أنه عالم بشئون الحرب ممارس لها منذ فترات زمنية طويلة، وهو ما يمثل حجة السلطة التي يأمل أن تُقْنِعَ أتباعه وتحمِّسهم للجهاد في سبيل الله، و"هي حجة تستمد قوتها الإقناعية من النفوذ الذي يمتلكه مصدرها"(١١٣)، حيث يضرب علي مثالًا للجهاد بنفسه، وهو الخليفة، وقد عاش حياته كلها في جهاد وتضحية وفداء، وهو في ذلك يُلْزِمُ السامعين ويحفِّزهم على الحرب، وهو في الوقت نفسه يطبق القول المأثور (إذا أردت أن تكون إمامي فكن أمامي).

ميّز فيليب بروطون بين ثلاثة أصناف من الاستدلال المبني على السلطة، وهو بذلك يفرق بين أنواع من الحجج داخل حجة السلطة، النوع الأول: الاستدلال بواسطة الكفاية، والمقصود به المعرفة والتخصص في المجال الذي تساق فيه حجة السلطة، والنوع الثاني: الاستدلال بواسطة التجربة، والمقصود به ممارسة الشيء الذي تتحدث عنه الحجة، والنوع الثالث: الاستدلال بواسطة الشهادة، والمراد به حضور الحدث الذي يؤكد سلطة محققة تعمل على بناء سلطة الشهادة(١١٤).

هذه الحجج الثلاثة موجودة في خطبة علي، حيث تدلّ خطبته على أنه قد تعلم فنون القتال منذ وقت مبكر، ومن ثم، فهو كفء في هذا المجال، و"لا تعتمد حجة التجربة على كفاية تُتَّهم دائمًا بكونها نظرية بقدر ما تعتمد على ممارسة فعلية في المجال الذي يُعبِّر فيه الخطيب"(١١٥)، وقد ذكر علي، وهو في سن الستين من عمره، أنه مارس الحرب وهو في سن العشرين، لكن "ما الفرق بين التجربة والشهادة؟ وكلاهما يحيل إلى ممارسة ملموسة، لكن التجربة تتضمن مدة وتراكمًا، في الوقت الذي تكون فيه الشهادة آنية"(١١٦).

لذلك يتساءل علي في خطبته هل أحد من قريش أشدّ مِراسًا(١١٧) للحرب، أو أطول لها تجربة مني؟ يحاجج علي المخاطَبِين، ويرد على مَنْ يرى من قريش أنه ليست لديه معرفة بالحرب وفنون القتال، بأنه مارسها أكثر من ثلاثين سنة، وكلام علي، على وجازته، يجمع بين أصناف الاستدلال الثلاثة: الكفاية والتجربة والشهادة، كما تؤكد ذلك سيرة علي أيضًا فلم يتخلَّف عن أية غزوة من غزوات الرسول(١١٨)، عليه الصلاة والسلام، وقد أظهر بطولات في هذه الغزوات كلها(١١٩).

ب- الحجة النفعية.

هذا النوع من الحجج له علاقة بالأحداث الواقعية، فهو يرتبط بالعلاقات بين الوقائع المختلفة، والعناصر المتاحة في الواقع فيدرس الأسباب ونتائجها الإيجابية والسلبية أو العكس، ويُسَمَّى بعلاقة التتابع والتعاقب، "إن الحجج القائمة على بنية الواقع تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مُسَلَّمٍ بها، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها، وجعلها مقبولة مُسَلَّمًا بها، وذلك بجعل

الأحكام المُسَلَّم بها، والأحكام غير المُسَلَّم بها عناصر تنتمي إلى كُلٍّ واحد يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يُسَلَّمَ بالآخر"(١٢٠).

من هذه الحجج ما يسميه بيرلمان بالحجة النفعية، وهي "الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية، ومن هنا كان للحجة البراغماتية تأثير مباشر في توجيه السلوك، وعُدَّت من أهم وسائل الحجاج، إن مدار هذه الحجة على تثمين حدثٍ ما بذكر نتائجه، فعلى هذا لا يكون المقصود من هذه الحجة مجرد التثمين، بل وتوجيه العمل أيضًا"(١٢١).

استخدم علي هذا النوع من الحجج؛ ليدعو أهل العراق إلى القتال، ففي رواية ابن أبي الحديد يقول علي في بداية خطبته: "أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرعُ الله الحصينة، وجُنَّتُه الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، ودُيِّث بالصَّغار والقماءة، وضُرِب على قلبه بالإسهاب، وأُدِيلَ الحقُّ منه بتضييع الجهاد، وسِيمَ الخسفَ، ومُنِعَ النَّصَف"(١٢٢).

يتكلم علي عن نتائج الجهاد الإيجابية، أو عن الوعد المتحقق لمن يجاهد في سبيل الله في الدنيا والآخرة، ثم يتبع ذلك بالنتائج السلبية التي تنتظر من يتخلى عن الجهاد في الدنيا والآخرة، أو عن الوعيد الذي يحيق بمن يتخلف عن الجهاد، حيث يضع علي أنصاره من البداية في مواجهة مع النتائج الإيجابية للجهاد، والآثار السلبية لتركه، فالجهاد سبب مرهون بنتائج، إذا وقع السبب فلا بد من وقوع النتائج، فهو يريد أن يقول لهم: جاهدوا من أجل الحصول على

مكاسب كثيرة، وإن لم تفعلوا فستحدث لكم نتائج سلبية متعددة، وقد حدث بالفعل ما كان يخشاه الإمام؛ لأن أنصاره لم يجاهدوا في سبيل الله، ومن ثم وقع ما كان علي يتوعدهم به.

عندما يتوجه المتكلم بالخطاب إلى مستمعيه لابد أن يعرف، قبل أن يواجههم، آمالهم وآلامهم، ويحاول أن يدعو الناس بحيث يحققون أكثر النتائج الإيجابية المرجوة، ويبتعدون بقدر الإمكان عن النتائج السلبية المحتملة، والخطيب اللبق هو من يستشرف المستقبل، و"يخاطب الناس بما يثير لذاتهم، وما يرون في الأخذ به اتقاء لآلام متوقعة، فهو يلوح بالمنفعة التي يراها مطلبًا لهم، ويبين لهم أن الآلام في نقيض ما يدعو إليه"(١٢٣).

من بلاغة الحجاج تقديم الترغيب والتحذير أولًا ثم تحديد المطلوب ثانيًا، أو العكس، وكلتا الطريقتين تكون سببًا في إقناع المخاطب، "وهي طرِيقةٌ بلاغِيَّةٌ فِي الْخطابةِ والخِطابِ، فرُبَّما قَدَّمُوا المَطلُوب ثمَّ جاؤوا بِمَا يُكْسِبُه قَبُولًا عند السامِعِينَ، وربَّما قَدَّمُوا مَا يُكْسِبُ الْقبُولَ قبل المَقْصُودِ ... وهذا من ارْتِكاب خِلاف مُقْتَضى الظَّاهر فِي ترتيبِ الجملِ"(١٢٤).

على أية حال فنص علي السابق بُني بناءً حجاجيًّا، فقد اختار الطريقة الثانية، وهي تقديم الترغيب والتهديد ثم طلب من أنصاره الغزو لاتقاء الهزيمة ورغبة في الحصول على مكاسب الجهاد من تحقيق العزة والكرامة أو الاستشهاد في سبيل الله، لقد بيَّن علي أن الالتزام بالجهاد يجعل المسلم من أقرب أولياء الله الذين يعيشون في حماية الله ورعايته، كما يحافظون على عزتهم وكرامتهم، وقد رتَّب على تركه آثارًا ضخمةً، فمن فرَّط فيه أورثه الله الذل، وعمه الغم والحزن،

وعاش في المهانة والهوان، وذاق النقائص والدنايا، وحُرِم الإنصاف، وساق ذلك في جملة شرطية تتكون من فعل الشرط (السبب: وهو ترك الجهاد) وجواب الشرط (النتيجة: وهي ألبسه الله ثوب الذل)، وعطف عليها سبع جمل (يعني سبع نتائج سيئة)، بمعنى أن حصول السبب يؤدي إلى حدوث كل هذه النتائج السلبية، هذه النتائج تبين الأضرار الجسيمة التي حذّر علي قومه منها.

من هذا المنطلق جاء خطاب علي لقومه، آملًا في ثواب الدنيا والآخرة، ومحذِّرًا من العقاب في الدنيا والآخرة، ويتضح مما سبق أن جملة "إن الجهاد باب من أبواب الجنة" [١٢٥] جاءت قاعدة حجاجية بنى عليها علي سلسلة من النتائج، كما نلاحظ قصر الموضوع (الجهاد) وطول المحمول (النتائج المترتبة على القيام بالجهاد وكذلك النتائج المرتبطة بتركه).

٣- الحجج المُؤَسِّسَة لبنية الواقع

يرى بيرلمان وتيتكاه أن ثمة نوعًا من الحجج يعتمد على تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة، من ذلك المثال والاستشهاد والتمثيل، ولما كان الاستشهاد يهدف إلى تقوية حضور الحجة فقد نُظر إليه على أنه صورة تدعم القاعدة المجردة وتوضحها وتجعلها حسيةً[١٢٦]، وقد عد أرسطو الشواهد من الأدلة التي لا نصنعها وتأخذ قيمتها من مصدرها.

الشواهد كثيرة منها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار، والأمثال والحكم، "من الضروري أن يوظف المتكلم في نص خطابه أقوالًا تشكل سلطة مرجعية يعترف بها المخاطب، وتحظي بالنفوذ في مجاله السوسيو ثقافي"[١٢٧]، وعلى الخطيب معرفة الشواهد الأثيرة لدى مخاطبيه، فلكل متلقٍ شواهده الخاصة

التي تقنعه، ولكل عصر طابعه الخاص الذي يتميز به، وهذا الطابع بلا شك محكوم بأسس المعتقدات المشتركة بين المتكلمين والمخاطبين معًا، ويعتمد الحجاج على اختلاف أنواعه على الحس المشترك الخاص بمجموعة لسانية معينة فهو جماع معتقداتها ومناط موافقاتها(١٢٨).

يريد علي في هذه الخطبة أن يقنع أنصاره بضرورة الدفاع عن أنفسهم وأعراضهم، ومن ثم ينطلق من أدلة حجاجية تعتمد على توظيف التراث الديني باعتباره من أكبر الأنساق الحضارية المؤثرة في حياة الجماعة والمسيرة لسلوكها وتوجهها.

ومن ثم كان من الطبيعي أن يستخدم علي مبدأ الثواب والعقاب والوعد والوعيد، ولا غرو، والأمر كذلك، أن يصبح علي فارسًا في ميدان الثقافة الإسلامية، وأحد الأعمدة الكبرى التي حملت مشعل الدعوة والجهاد في هذه الفترة من التاريخ الإسلامي، والحقيقة أن توظيف الدين وتعاليمه كان من أبرز العناصر في منظومة الثقافة العربية في ذلك الوقت، سواء أكان ذلك عند المتكلم أم عند جماعة المخاطَبين المقصودين بهذا الخطاب؟ وعلى المتكلم أن يستثمر هذه الأسس الثقافية المشتركة، و" أن يعرف كيف يوظف عناصر هذه الثقافة لصالح الغايات التداولية لخطابه"(١٢٩).

أما بالنسبة للمخاطب فله مرجعية ثقافية يستند عليها، وتكمن مهارة الخطيب في استحضار هذه المرجعية وتوظيفها في خطابه الحجاجي، من خلال الاستشهاد بالنصوص لخدمة أهداف المتحدث ومقاصده، وقد فطن القدامى لدور الشواهد في الحجاج، وتحدث الجاحظ عن الشاهد القرآني، و"قال عمران بن

حطّان: خَطَبتُ عند زياد خطبة ظننت أني لم أقصّر فيها عن غاية، ولم أدَعْ لطاعنٍ علة، فمررتُ ببعض المجالس فسمعتُ شيخًا يقول: هذا الفتى أخْطَبُ العربِ لو كان في خطبته شيء من القرآن"(١٣٠).

لا شك أن هناك اتفاق بين جميع المسلمين على أن الجهاد من الطرق الموصلة إلى الجنة، ومن ثم جعله علي نقطة الانطلاق التي بدأ بها خطابه وحجاجه، لعلمه أن كل من يسمعه من الحاضرين يتفق معه قبل الدخول في صلب الخطبة وتفاصيلها على ذلك، ومن ثم، ضمِن علي اتفاق المخاطبين معه حول هذه البداية؛ لكي يبني عليها ما يريد إقامته من حجاج تمثل هذه المقدمة لبه وخلاصته، يقول علي في بداية خطبته :"إن الجهاد باب من أبواب الجنة"(١٣١).

غني عن البيان أن علي هنا قد تأثر بحديث رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي قال فيه: "عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمّ"(١٣٢)، وكان الرسول، عليه الصلاة والسلام، في كل مواقفه يعرض على المجاهد أن جزاءه سيكون الجنة، ومن ثم كان أهم ما يميز الخطبة الإسلامية هو الترغيب في الجنة، و"الخطبة الجاهلية تدعو للقتال حميةً وحفاظًا على القبيلة وسمعة أبنائها، وهذه تدعو للحرب حفاظًا على مبادئ الإسلام وترغيبًا في ثواب الله"(١٣٣).

كما تأثر علي بحديث الرسول، عليه الصلاة والسلام، في الترغيب في الجهاد تأثر أيضًا بحديثه في التحذير من ترك الجهاد، حيث يقول: "إن الجهاد باب من أبواب الجنة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل"(١٣٤)، وقوله هذا

مأخوذ من حديث الرسول المروي "عن محمد بن عبيد الله التيمى، عن أبى بكر الصديق قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: ما تَرَكَ قومٌ الجهادَ فيِ سبيلِ الله إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللهُ بذُلٍّ"(١٣٥).

ربما تأثر عليّ أيضًا بغيره من صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومثال ذلك قوله: " فيا عجبًا من جد هؤلاء القوم في باطلهم، وفشلكم عن حقكم"، فهو يتعجب من جرأة أنصار معاوية على الباطل، وتأخر رجاله عن نصرة الحق، فهو يحاكي هنا قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، : "اللّهُمّ إِلَيْكَ أَشْكو جَلَدَ الفاجِرِ وَعَجْزَ الثِّقَة"(١٣٦).

لقد دعا علي قومه إلى الجهاد، في كل وقت وحين، في الليل والنهار وفي السر والعلانية، "وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلًا ونهارًا، وسرًّا وإعلانًا"(١٣٧)، وهو متأثر هنا بالمنطق القرآني في قصة سيدنا نوح، عليه السلام، مع قومه، في قوله تعالي "قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا"(١٣٨)، وقوله تعالى " ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا"(١٣٩)، وعلى الرغم من أنه أقام عليهم الحجة، لكنهم لم يستجيبوا له، وكانت النتيجة المؤلمة أنه "ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلُّوا"(١٤٠)، فعدم إجابتهم لدعوته أدت إلى ما هم عليه من الذل والهوان، وهذا يدل على رجاحة عقل الإمام وبعد نظره، وهذا من نتائج براهينه التي قدَّمها لهم من البداية، فهو يُفند لهم حججهم ويُظهر عقوبة تخلفهم عن الغزو، ويوبخهم لعدم تنفيذهم لطلبه عندما دعاهم للحرب، ولكنهم تقاعسوا عنها.

يتضح مما سبق أن عليًّا قد أخذ بعض مضامين خطبته من القرآن والسنة بما لهذه المضامين من قوة تأثيرية عالية عند المخاطبين بها؛ لأنها

"حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها، ومن مصادقة الناس عليها وتواترها"[١٤١]، أضف إلى ذلك أن عليًّا قد اقتبس هذه النصوص اقتباسًا غير مباشر، إن جاز هذا التعبير، بمعنى أنه لم يصرح في خطبته بـ (قال الله، وقال الرسول)، وإنما أخذ المعنى من القرآن والسنة وصاغه بأسلوبه الخطابي البديع، "كان بعض الخطباء يستمدون من القرآن الكريم بعض المعاني، يجرونها على ألسنتهم عامدين؛ ليفخِّموا بها أقوالهم، ويجتذبوا نفوس سامعيهم، أو غير عامدين أن يقتبسوها، وإنما جرت على ألسنتهم؛ لأنهم حُفَّاظ قد فهموا ما حفظوا، وتأثروا به، فاستقر في نفوسهم"[١٤٢].

اقتبس عليّ من الآية الكريمة أو الحديث النبوي الشريف الملمحَ الذي يحتاجه في خطبته، وربما أضاف إليه أشياء أخرى؛ ليستدل على ما يريد، ومثال ذلك قوله عندما دعا أنصاره إلى الجهاد، وتحججوا بالحر، كما في الآية: (قَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ)[١٤٣]، زاد هو على ذلك أنهم كذلك لم ينفروا في البرد؛ لأنه أراد أن يوضح أنهم لا يريدون جهادًا أصلًا.

لقد أراد علي أن يسير وفق المنهج القرآني في الاستدلال، وهذه سمة للخطباء في عصره، ولذلك كانت خطبهم متماسكة، و"لعل السبب في ذلك اجتهادهم في صوغ كلامهم صياغة استدلالية؛ لينتج النتائج التي يريدونها... وإنك لترى ذلك الإحكام، وهذا التماسك واضحًا في أكثر خطب ذلك العصر، وخصوصًا خطب الإمام علي رضي الله عنه"[١٤٤].

يتضح مما سبق أن عليًّا استثمر الحجاج بالاستشهاد عن طريق استخدام النصوص الدينية من قرآن وسنة، ولاشك أن عليًّا قد أكثر من هذا النوع لعلمه بأنه ربما يكون أشد تأثيرًا في المخاطبين من غيره من ناحية، ولتأثر المتكلم نفسه وإيمانه القوي بهذه النصوص الدينية من ناحية أخرى.

الحجاج وترتيب أجزاء الخطبة

يرى أرسطو أن المراحل الأساسية التي ينبني عليها الحجاج في الخطابة ثلاثة، هي: الأدلة، وترتيب أجزاء القول، والأسلوب(١٤٥)، إن الخطبة شأنها شأن فنون التعبير الأخرى، تتكون من مقدمة ومتن وخاتمة، وقد "قسّم أرسطو الخطبة إلى أربعة أجزاء: المقدمة، والعرض، والتدليل، والخاتمة، وزاد بعضهم على هذه الأقسام التفنيد، وقصرها آخرون على ثلاثة: المقدمة والعرض (وتنطوي فيه الأدلة والتفنيد)، والخاتمة"(١٤٦)، لكن هذا الجانب تعرض لإهمال بيرلمان، أي ترتيب الوحدات النصية للخطاب: "هذه العناصر لم تلقَ من بيرلمان العناية المستحقة"(١٤٧).

لترتيب عناصر الخطبة علاقة قوية بالحجاج؛ "إن الترتيب هو نفسه حجة، في الواقع، يجعل الخطيبُ السامعَ بفضل الترتيب يسير عبر الطرق وحسب المراحل التي اختارها، ويقوده هكذا إلى الهدف الذي فرضه هو نفسه"(١٤٨).

وتمثل مقدمة الخطبة منزلة حجاجية عالية، فهي أول ما يقرع سمع المخاطبين من الحجج، وإذا نجح الخطيب في توجيهها نحو هدفه الإقناعي كان لذلك تأثير على بقية أجزاء الخطبة، وقد فطن البلاغيون القدامى لهذا الأمر،

حيث نقل الحاجظ عن ابن المقفع قوله: "ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك"(١٤٩)، إن الفكرة الأولى عن الشيء تثبت وتقر بالنفس، ومحوها يحتاج إلى عناء شديد، فإن كانت حسنة صعب تهجينها، وإن كانت سيئة صعب تزيينها(١٥٠).

ثمة علاقة قوية بين النص والسياق الخارجي الذي قيل فيه، و"لا يمكن أن نفهم لماذا تأتي افتتاحات القصائد أو الخطب أو الرسائل على هذا الشكل دون غيره إلا إذا أخذْنا بعين الاعتبار التأثيرات التي تمارسها ظروف الإنجاز في اختيار وتحديد الافتتاح الملائم"(١٥١).

مع أن الأحداث التي سبقت الخطبة، موضع الدراسة، دالة على أن الإمام علي إذا قام خطيبًا في الناس فلابد أن يتكلم عن الغارة التي تعرض لها أنصاره، وأنه سيدعوهم إلى الجهاد حيث بدأ خطبته لأتباعه بقوله: "إن الجهاد باب من أبواب الجنة"(١٥٢)، فهذه المقدمة تمهد للموضوع، ولها مغزى حجاجي، حيث يركز علي في بداية خطبته على الجهاد ويربط بينه وبين الجنة لإقناع المخاطبين به من البداية، ويجذب انتباههم لما يريده منهم. و"هي مقدمة وثيقة الصلة بموضوع الخطبة"(١٥٣)، وهو تحريض أهل الكوفة على التصدي لهجمات جيش معاوية.

من الخطباء من يبتدئ خطبته بآية قرآنية أو حديث شريف يناسب المقام، ويكون حجة في الاستدلال(١٥٤)، وقد أوضحت الدراسةُ ذلك عندما تعرضت للحجج المؤسِّسة لبنية الواقع، كما يجب أن يكون الافتتاح قصيرًا موجزًا لكيلا يشغل الذهن بغير المطلوب؛ فينصرف عن الطلب الأول إلى ما هو

بالمحل الثاني[١٥٥]، وهذا واضح من المقدمة القصيرة التي ساقها علي في بداية خطبته، وجعلها دليلًا على ما أراده من الخطبة كلها.

أما بالنسبة للإثبات فهو موضوع الخطبة وغرضها، وهو قسمان: أحدهما شرح الأدلة التي يعتمد عليها الخطيب فيما يدعو إليه، ويُسَمَّى تبيانًا، والآخر: هو إبطال حجج الخصم بما ينقض دعواه، ويُسَمَّى تفنيدًا[١٥٦]، والمتأمل في خطبة علي يجدها تنقسم إلى هذين القسمين، القسم الأول منها شرح للأدلة التي تثبت مشروعية الجهاد، والقسم الثاني تفنيد أدلة من يرغب عن الجهاد، حيث ساق علي الأدلة على ضرورة الجهاد وسرد وقائع الهجوم الذي خلَّف قتلى في صفوف أنصاره، وبيَّن أن هؤلاء الأعداء لم يُصابوا حتى بجروح، يقول: "ما كُلِمَ رجلٌ منهم كَلْمًا"[١٥٧]، ولم يجدوا أيّ مقاومة، ثم بدأ يفنِّد حجج أنصاره الذين تَوانوا عن الجهاد في سبيل الله، بقوله: " ... إذا أمرتكم بالسير في البرد قلتم: أمهلنا ينسلخ عنا القرّ، كلّ ذا فرار من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر"[١٥٨].

يُحَمِّلُ عليٌّ بذلك أنصاره مسئولية الهجوم الذي نفذه أهل الشام وما أصاب معسكره من دمار وقتل، وهو يريد أنهم لا يهربون من برد الشتاء ولا حرارة الصيف، وإنما يهربون من وقع السيف، وعلي في الخطبة كلها يريد أن يثبت لأنصاره أنه من لا يبادر بالغزو يُغْزَى، وهو ما حدث بالفعل، يقول علي: " اغزوهم قبل أن يغزوكم"[١٥٩].

في خاتمة الخطبة يفند علي دعوى قريش أنه لا علم له بالحرب، ومن ضمن أدوات الخطيب "أن يكون قادرًا على تفنيد آراء خصمه بالأدلة"[١٦٠]،

فيوضح أنه على دراية بالحرب، وأنه بادر إليها في سن مبكرة، حيث جاهد وهو في العشرينيات من عمره، حيث ولد علي سنة ٥٩٩م، وشارك في عزوة بدر سنة ٦٢٤م، وأبلى بلاءً حسنًا مع الرسول، عليه الصلاة والسلام، في جميع غزواته، كما أضحت الدراسة من قبل، ثم استُشهد سنة ٦٦١م، وهذا يدل على أنه عاش أكثر من ثلاثين سنة في جهاد، ومع ذلك فلن يموت إنسان إلا وقد استوفى أجله، ولا فرق في ذلك بين من مات بسبب الحرب أو مات حتف أنفه، وعلي هنا يريد أن يحفز هممهم إلى الجهاد، ويثير حماستهم للدفاع عن أنفسهم ضد من يعتدي عليهم؛ ليظل يدعوهم إلى الجهاد في ختام خطبته كما بدأها بالحديث عن الجهاد، و"حري بالذكر أن الخاتمة لا يجب أن تشكل حجة جديدة؛ لأنها لن تكون إلا جزءًا إضافيًّا، فيفقد الخطاب وحدتَه"(١٦١).

كما أن بداية الخطبة مرحلة مهمة في التأثير في نفوس المستمعين، فكذلك "نهاية الخطاب محطة لها تأثير خاص على المخاطبين"(١٦٢)؛ لأنها تظل في مخيلة المتلقي حتى بعد الفراغ من الخطبة، وعندما لا تخرج عن الإطار العام للخطبة فإن ذلك يؤدي إلى التحام أجزاء النص، وتماسك مكوناته، و"إن هي كان وقعها حسنًا، انسحب ذلك على الخطبة حسنًا، وإلا ساء الأمر وضاعت الغاية المنشودة"(١٦٣)، يقول علي: "لقد مارستها (الحرب) وما بلغت العشرين، فها أنا ذا قد نيفت على الستين"(١٦٤)، فصورة علي الذي حارب وجاهد طيلة حياته هي الصورة التي تظل، من خلال الخاتمة، باقية في خيال أصحابه؛ لكي تحثهم على الجهاد، وتحفزهم على النصر، وهذا ما يؤكد على حسن الختام.

هكذا كان لترتيب الخطبة دور حجاجيّ، فقد بُنيت بناءً مُحْكمًا من البداية حتى النهاية، و"الخطبة تدرجت تدرجًا منطقيًّا، كل مرحلة أسلمت للتي تليها"[١٦٥]، ولذلك كانت عبارة عن حجج متتالية، فهي أسباب ونتائج، فالجهاد سبب لدخول الجنة في الآخرة، ومن نتائج تركه الذل في الدنيا والآخرة، فلذلك دعا علي أنصاره إلى القتال فلم يستجيبوا، ومن ثم ذلُّوا، وقُتل منهم رجال صالحون، وأُهِينت النساء، ولما ألح علي عليهم؛ ليحاربوا اختلقوا الأعذار الواهية، وسكتوا على الذل، فهم ليسوا برجال، بل أشباه رجال، ومن ثم ندم علي على معرفتهم؛ لأنها كانت سببًا في قول قريش إنه ليس محاربًا، وتاريخ علي يشهد بأنه ظل يحارب طيلة حياته.

نتائج الدراسة

محوران اثنان هما صفوة ما انتهت إليه هذه الدراسة، ويمكن بيانهما على النحو التالي:

المحور الأول: عام، وبه مداخل مهمة تتعلق بأهمية دراسة النصوص النثرية وندرتها في مقابل الدراسات الكثيرة المخصصة للشعر العربي، وقد بينتُ هيمنة الحجاج على فنون الخطابة بصفة خاصة؛ ومن ثم وضحتُ العلاقة بين الحجاج والخطابة، وتطرقتُ لبلاغة الخطابة عند علي بن أبي طالب، ودرستُ موضوع خطبة الجهاد وسياقها التاريخي.

والمحور الثاني: خاص حيث تناولتُ فيه أساليب الحجاج في خطبة الجهاد عند الإمام علي وتحليلها، وقسَّمتُه على موضوعين هما: مقدمات الحجاج في الخطبة، والتقنيات الحجاجية المستخدمة فيها أيضًا.

أما بخصوص نتائج هذه الدراسة، فقد حاولتُ استخراج أساليب الحجاج المتعلقة بخطبة الجهاد عند الإمام علي، ومن ثم ينبغي وضع الإمام علي في موضعه الصحيح في إطار حقل البلاغة الحجاجية بعد أن طبقت شهرته الآفاق بين خطباء عصره، وقد سلك الباحث لهذه الغاية سُبلًا متعددة توصّل في النهاية إلى أن للإمام قدرة خطابية عالية كفيلة بأن تسلكه في عداد الرواد في بلاغة الحجاج؛ بما له من أساليب تُعد أصولًا حجاجيةً يمكن أن يُبْنَى عليها صرح هذا العلم؛ بما يؤكد على دور النصوص العربية القديمة في تأسيس ما يمكن أن يُسمَّى علم الحجاج العربي.

وهاكم سرد لبعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

(١) دراسة الحجاج مما تعود بالفائدة على البلاغة حيث تتسع ميادين البحث فيها.

(٢) ثمة علاقة قوية بين الحجاج والخطابة.

(٣) الحجاج الخطابي سلاح معنوي يستخدمه القادة في الحروب لتحميس الجنود، وحضهم على ممارسة القتال.

(٤) استخدم الإمام علي ببراعة المقدمات الحجاجية التي يراهن على تسليم المخاطبين بها، من ذلك ذكر الوقائع التي تعرض لها أنصاره في الأنبار، واتخذ ذلك وسيلة لإقناع المخاطبين بضرورة ردّ العدوان الذي قام به جيش معاوية، كما بنى علي حجاجه على حقائق دينية ثابتة تعتمد على أسس المعتقدات المشتركة، واعتمد علي على الحجاج بإثارة العواطف لدى مخاطبيه، كما استخدم طرقًا كثيرةً في عرض هذه المقدمات، منها: التكرار، والتعبير الحسي دون المجرد، والمزاوجة بين الخبر والإنشاء، وأسلوب الحوار.

(٥) أبدع علي في استخدام تقنيات حجاجية متعددة: منها استخدام حجة التقسيم، وأوضح من خلالها عدم رغبة أنصاره في الحرب أثناء حرارة الصيف وبرودة الشتاء، وبالتالي تمر السنة كلها دون أن يصدوا العدوان عن أنفسهم، ومنها أيضًا استخدام حجة التعارض، ففي نهاية خطبة علي وردت قضيتان متعارضتان، الأولى: أن عليًّا لا علم له بالحرب، والثانية: أنه حارب منذ العشرين حتى وقت الخطبة، حيث كان علي في سن الستين، وظروف الخطاب هنا تؤيد القضية الثانية، وتُقصي القضية الأولى، ومنها كذلك حجة السلطة التي تستمد قوتها الإقناعية من النفوذ الذي يمتلكه صاحبها، حيث ضرب علي مثالًا

للجهاد بنفسه، وهو الخليفة، وقد عاش حياته كلها في جهاد وتضحية، وهو في ذلك يُحفِّز السامعين على الحرب، كما استخدم علي الحجة النفعية، أو الحجاج بالوعد والوعيد، حيث يذكر الحدث، وهو الجهاد، ويذكر نتائجه الإيجابية، والنتائج السلبية في حالة ترك الجهاد، ومنها أنه استثمر الحجاج بالاستشهاد عن طريق استخدام النصوص الدينية من قرآن وسنة.

(٦) لترتيب عناصر الخطبة علاقة قوية بالحجاج، ومن ثم كانت مقدمة الخطبة ممهدة لموضوعها ووثيقة الصلة به، كما كانت قصيرة موجزة؛ لكيلا يشغل الذهن بغير المطلوب، والخطبة قسمان: التبيان والتفنيد، فالقسم الأول منها تبيان للأدلة التي تثبت مشروعية الجهاد، والقسم الثاني تفنيد أدلة من يرغب عن الجهاد، ويجب ألا تمثل الخاتمة حجة جديدة، ولذلك جاءت فيها صورة علي الذي حارب وجاهد طيلة حياته؛ لتظل هذي الصورة، من خلال الخاتمة، باقية في خيال أصحابه؛ لكي تحثهم على الجهاد، وتحفزهم على النصر.

الهوامش

(١) من القدماء من اهتم، إلى جانب الشعر، بالفنون النثرية عامة، كابن وهب الكاتب، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وحازم القرطاجني وغيرهم.

(٢) انظر: سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، ص ٧، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩١م.

(٣) انظر: بدوي طبانة، البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، ص ٤٧، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، (٢٨/٣)، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، القاهرة،٢٠٠٣م، وقد بيَّن الجاحظ أن لليونان فلسفة ومنطقًا، لكن صاحب المنطق نفسه غير موصوف بالبيان، وأن في الفرس خطباء، إلا أن خطابتهم عن طول التفكر ودراسة الكتب، انظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٥) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٣٦١، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي. وانظر كذلك: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ص ٧، الطبعة الثانية، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٢م.

(٦) انظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٣٦١.

(٧) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ٨.

(٨) محمد أفيلال، نحو آفاق جديدة للبلاغة العربية، محمد مشبال أنموذجًا، ص ٦٦٢، بحث منشور ضمن فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد(٤/٢٦)، العدد ١٠٤، تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، خريف ٢٠١٨م.

(٩) انظر: أبو بكر العزاوي، البلاغة العربية والعلوم الجديدة، سؤال القراءة وسؤال التجديد، ص٣٠٤، بحث منشور ضمن فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد(٤/٢٦)، العدد ١٠٤.

(١٠) انظر: محمد أفيلال، نحو آفاق جديدة للبلاغة العربية، ص ٦٦٣.

(١١) عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ١٥، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٨١م.

(١٢) محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٧، دار الفكر العربي، القاهرة، وانظر: عبد اللطيف سلامي، المدخل إلى فن المناظرة، ص ٢٤، الطبعة الأولى، مركز مناظرات قطر، ٢٠١٤م.

(١٣) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٢٩٩، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب بمنوبة، تونس، وكذلك انظر: المرجع السابق، ص ٣٠٣، وانظر للمؤلف نفسه: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص ١٩، الطبعة الأولى، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١م، وانظر كذلك: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، ص ١٥٩، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، الأردن، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

(١٤) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٣/ ٣٨٨)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

(١٥) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٠٠، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(١٦) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص ١٦.

(١٧) أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص ٤٠، نهضة مصر.

(١٨) عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ١٦٣.

(١٩) محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٢٠٧، وانظر كذلك: محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، ص ١٣٨، الطبعة الثانية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٤م.

(٢٠) سُمِّيت بذلك لأنه يدعو فيها أنصاره إلى الجهاد في سبيل الله، وقد اعتمدت الدراسة على نص الخطبة الوارد في كتاب الجاحظ: البيان والتبيين، (٢/ ٥٣)، وإن كان هذا لا يمنع من الرجوع، في بعض الأحيان، إلى روايات أخرى للخطبة، من ذلك انظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (٧٤/٢)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م، وكذلك: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، (٢٠/١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧م.

(٢١) أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة والبلاغة، ديكرو وبيرلمان أنموذجًا، ص٤٠٣، بحث منشور ضمن فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد (١/٢٦)، العدد ١٠١، تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، خريف ٢٠١٧م، وانظر كذلك: صلاح فضل، بلاغة

الخطاب وعلم النص، ص ٦٧، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٦٤، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.

(٢٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (٢٤/١)، ثمة نصوص كثيرة في القديم والحديث تحدثت عن بلاغة الإمام علي، لكنني اكتفيت هنا بالإشارة الدالة، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى المصادر والكتب التي تناولت هذه القضية بالتفصيل.

(٢٣) الجاحظ، البيان والتبيين، (١/ ٣٥٣)، وانظر أيضا: المرجع نفسه، (٨٣/١)، و(١١٨/١).

(٢٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (٢٥/١).

(٢٥) أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص ١٨٦، دار نهضة مصر، القاهرة. وانظر: الشريف الرضي، نهج البلاغة، مقدمة الشيخ محمد عبده، ص ٥،٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، القاهرة،٢٠٠٤م، وانظر أيضًا: محمود الهندي، وعبد العزيز شرف، التفسير الإعلامي لنهج البلاغة، ص ٦٤، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وانظر كذلك: محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٢٢٤.

(٢٦) أحمد أحمد بدوي، الخطابة في عهد علي بن أبي طالب، ص ١١٨٣، مجلة الرسالة، العدد، ٢١١، ١٩٣٧م.

(٢٧) عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ١٧٧.

(٢٨) أوليفيي روبول، مدخل إلى الخطابة، ص ٥٣، ترجمة: رضوان العصبة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٧م.

(٢٩) محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٢٠٩.

(٣٠) انظر: تايلور فيليب، قصف العقول، الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي، ص ٢٣، ترجمة: سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٥٦، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، ٢٠٠٠م.

(٣١) محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٢٠٨.

(٣٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (٢/ ٨٠)، ثم ذكر نماذج من جيد خطب ابن نُباتة وبيّن أن هذه الخطب مسروقة من علي، وأن الفرق بين خطب علي وخطب ابن نباتة وغيره كالفرق بين شعر امرئ القيس والنابغة والأعشى، وشعر أبي نواس وأبي تمام والبحتري.

(٣٣) عماد عبد اللطيف، استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، ص ٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.

(٣٤) أحمد أحمد بدوي، الخطابة في عهد علي بن أبي طالب، ص ١١٨٥، ضمن مجلة الرسالة.

(٣٥) حربه: سلبه جميع ما يملك، انظر: المعجم الوسيط، (حرب)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٣٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (٨٥/٢، ٨٦).

(٣٧) انتدب للأمر: استجاب وسارع، وانتدب فلانًا لأمر: بعثه ووجهه، انظر: المعجم الوسيط، مادة (ندب).

(٣٨) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (٨٦/٢).

(٣٩) أحمد أحمد بدوي، الخطابة في عهد علي بن أبي طالب، ص ١١٨٣، ضمن مجلة الرسالة، ويقول علي لأهل العراق في إحدى خطبه: "والله لوددت أني أقدر أن أصرفكم صرف الدينار بالدراهم، عشرة منكم برجل من أهل الشام"، ابن عساكر، تاريخ دمشق،(٣٢١/١)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م.

(٤٠) عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٦٣.

(٤١) مكان خارج الكوفة.

(٤٢) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، (٢٠/١)، وانظر كذلك: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (٧٦/٢).

(٤٣) أحمد أحمد بدوي، الخطابة في عهد علي بن أبي طالب، ص ١١٨٤، ضمن مجلة الرسالة، ويرى شوقي ضيف أيضًا أن كثرة معارك علي قد كانت سببًا في كثرة خطبه، يقول: " قد دفعته حروبه مع طلحة والزبير وعائشة، ثم مع معاوية إلى أن يكثر من دعوة جنوده إلى جهاد أعدائه"، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ٦٣، الطبعة: الثالثة عشرة، دار المعارف.

(٤٤) الجاحظ، البيان والتبيين، (٢/ ١١٥)، ويبدو أن بعض أنصار علي قد فرّوا إلى معاوية، يقول سفيان بن عوف بعد نهاية الغارة: "فوالله ما لبثنا إلا يسيرًا، حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هُرَّابًا من عسكر علي" ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (٨٧/٢)، كما ذكر ابن أبي الحديد أيضًا أن عليًّا دعا أنصاره للحرب، بعد خطبة الجهاد، أكثر من مرة فتخاذلوا، لكنه ذكر كذلك أن عليًّا دعا سعيد بن قيس الهمداني وبعثه من النخيلة في ثمانية

آلاف، فخرج على شاطئ الفرات في طلب سفيان بن عوف، لكنه لم يلحق به، ومن أجل ذلك حزن علي ومرض وأصابته الكآبة، انظر: المرجع السابق، (٨٨/٢).

(٤٥) عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٦٣.

(٤٦) أحمد أحمد بدوي، الخطابة في عهد علي بن أبي طالب، ص ١١٨٣، ضمن مجلة الرسالة.

(٤٧) فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص ٧٣، ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م.

(٤٨) انظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٨٧، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر،٢٠١٣م.

(٤٩) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(٥٠) انظر: المعجم الوسيط، مادة (شنن).

(٥١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبى، نثر الدر في المحاضرات، (٢٠٢/١)، تحقيق: خالد عبد الغني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م، والرواية التي جاءت عند الجاحظ: "وقتل منكم رجالًا صالحين"، البيان والتبيين، (٢/ ٥٤)، وقد علّق المحقق عليها في الهامش بقوله: "هذه الجملة لم ترد في غير البيان".

(٥٢) انظر: محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٧٠.

(٥٣) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٤/٢).

(٥٤) انظر: محمد أبو زهرة، الخطابة، ص٧٤.

(٥٥) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(٥٦) انظر: محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٦٣، ٦٤.

(٥٧) انظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٨٩.

(٥٨) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٠٩، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، وانظر كذلك: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٨٧.

(٥٩) يرى الطاهر بن عاشور أن كلمة الجهاد في هذه الخطبة تحريف من قاصد أو غافل، وأنها لا تصدر عن علي، التحرير والتنوير، (٥٥/٣)، والحقيقة أن لفظة الجهاد قد ذُكِرَت في معظم المصادر التي وردت فيها الخطبة.

(٦٠) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(٦١) محمد الولي، في خطابة أرسطو الباتوسية، ص ٤٥، ضمن مجلة علامات، العدد ٢٦، المغرب،٢٠٠٦م.

(٦٢) انظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣١٠، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(٦٣) انظر: فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص ٩٢.

(٦٤) انظر: المرجع السابق، ص ٩١.

(٦٥) الحَجْل: الخَلْخال، وهي حِليةٌ كالسِّوار تلبسها النساء في أَرجلهن، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجل)، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ .

(٦٦) القُلْب: السِّوار، وهو حِلْيَةٌ مستديرةٌ كالحلقة تُلْبَسُ في المِعْصمِ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قلب).

(٦٧) الرِّعَاث: جمع رُعْثة، وهي كل ما تذبذب من قُرْطٍ أو قِلادة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رعث).

(٦٨) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٤/٢).

(٦٩) حيث دخلت امرأة مسلمة إلى السوق، وجلست إلى صائغ، فأراد كشف وجهها فأبت، وعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وشدت اليهود على المسلم وقتلوه، فحاصرهم الرسول، عليه الصلاة والسلام، خمس عشرة ليلة ثم أجلاهم عن المدينة، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، (٥/٤)، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

(٧٠) انظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص ١٧.

(٧١) أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص ٥٠، وانظر كذلك: عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٥١ .

(٧٢) حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظريات الحجاج، ص ٢٦١، ضمن مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد ٤٠، أكتوبر ديسمبر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١١م.

(٧٣) أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص ١٢٨.

(٧٤) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ٥٥.

(٧٥) أحمد أحمد بدوي، الخطابة في عهد علي بن أبي طالب، ص ١١٨٤، ضمن مجلة الرسالة.

(٧٦) حمارة القيْظ: شدّتُه، انظر: المعجم الوسيط، (مادة حمر).

(٧٧) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٤/٢، ٥٥).

(٧٨) أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص ١٢٩.

(٧٩) المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٨٠) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣١٨، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، وانظر كذلك: فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص ١٠٨.

(٨١) غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، ص ١٤٧، ترجمة: عادل زعيتر، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة.

(٨٢) عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ١٣.

(٨٣) فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص ١٠٦.

(٨٤) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(٨٥) المرجع السابق، (٥٤/٢).

(٨٦) المرجع السابق، (٥٤/٢).

(٨٧) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣١٩، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، وانظر كذلك: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٩٠.

(٨٨) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣١٥، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(٨٩) المرجع السابق، ص ٣١٩، وانظر كذلك: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٩٠.

(٩٠) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(٩١) محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٦٦، وانظر: أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص ١٧٨.

(٩٢) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(٩٣) المرجع السابق، (٥٣/٢).

(٩٤) المرجع السابق، (٥٤/٢).

(٩٥) المرجع السابق، (٥٤/٢، ٥٥).

(٩٦) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٤٩، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(٩٧) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(٩٨) المرجع السابق، (٥٤/٢).

(٩٩) انظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ٢٦.

(١٠٠) انظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٢٤، ٣٢٥، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(١٠١) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (٣٢٩/٢)، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

(١٠٢) عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، ص ٦٠٨، الطبعة السابعة عشرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(١٠٣) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٣١، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(١٠٤) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٤/٢).

(١٠٥) "قال أَئِمَّةُ اللغة: فالصيف عند العامة نصف السنة وهو ستة أشهر، والشتاء نصف السنة وهو ستة أشهر"، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٣٠/ ٥٥٨)، و"قال مالِكٌ: الشتاء نصف السنة، والصيف نصفها"، أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، (٤/ ٤٥١)، الطبعة: الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م.

(١٠٦) انظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٢٥، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، وانظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٩٢، وانظر كذلك: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ٧٣.

(١٠٧) أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص ١٣٢، وانظر كذلك: عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٥٢.

(١٠٨) الجاحظ، البيان والتبيين، (٢/ ١١٥).

(١٠٩) المرجع السابق، (٥٥/٢).

(١١٠) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، (٤٢/ ٧٢).

(١١١) محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٥٨.

(١١٢) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص **٣٣٥**، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، وانظر كذلك: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٩٤.

(١١٣) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٩٤.

(١١٤) انظر: فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص ٨٤.

(١١٥) المرجع السابق، ص ٨٦.

(١١٦) المرجع السابق، ص ٨٧.

(١١٧) "يقال: فلان ذو مِراس: جَلَد وقوة ومُمارسة للأُمور"، انظر: المعجم الوسيط، مادة (مرس).

(١١٨) ماعدا غزوة تبوك حيث خلَّفه النبي على أهله.

(١١٩) يقول ابن أبي الحديد عن جهاد علي: "أما الجهاد في سبيل الله، فمعلوم عند صديقه وعدوِّه أنه سيد المجاهدين، وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له"، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (٢٤/١)، ومن بطولات علي ما حدث يوم الخندق، على سبيل المثال، حيث بارز عمرًا بن ود أحد صناديد الكفر وقتله، وحينئذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا فتى إلا علي، لا سيف إلا ذو الفقار، فلما قُتِلَ انهزم من معه"، إسماعيل حقي، روح البيان في تفسير القرآن، (٧ /١٤٥)، دار الفكر، بيروت.

(١٢٠) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٣١، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(١٢١) المرجع السابق، ص ٣٣٣.

(١٢٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (٧٤/٢).

(١٢٣) محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٦٠.

(١٢٤) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (٥٥/٣).

(١٢٥) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(١٢٦) انظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٣٧، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(١٢٧) حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ٣٠٤

(١٢٨) انظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣١٣، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، وانظر كذلك: سامي كليب، البراغماتية (القولفعلية)، في تحليل أفعال الخطاب السياسي، ص ١٣٧، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٧م.

(١٢٩) حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ٥٣، وانظر المرجع نفسه، ص ٣٠٣.

(١٣٠) الجاحظ، البيان والتبيين، (٦/٢).

(١٣١) المرجع السابق، (٥٣/٢).

(١٣٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، (٣٧/ ٣٩٢) تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م. وثمة أحاديث أخرى للنبي عليه الصلاة والسلام ذكرت أن الجهاد باب من أبواب الجنة، من ذلك قوله: "مَنْ أَنفق زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ... "، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، (٢٥/٣)، تحقيق: محمد زهير، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

(١٣٣) عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ١٧٧.

(١٣٤) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(١٣٥) جلال الدين السيوطي، جمع الجوامع أو الجامع الكبير، (١٤/ ٣٤٤)، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج وعبد الحميد محمد ندا وحسن عيسى عبد الظاهر، الطبعة الثانية، الأزهر الشريف، القاهرة، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م. وانظر كذلك: علاء الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، (٦٨١/٣)، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ،١٩٨١م.

(١٣٦) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، (٦/ ٤٠١) تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة: الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م.

(١٣٧) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(١٣٨) نوح ٥.

(١٣٩) نوح ٩.

(١٤٠) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(١٤١) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ٩٠.

(١٤٢) أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص ٢٢٩.

(١٤٣) التوبة: ٨١.

(١٤٤) محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٢١٧.

(١٤٥) انظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص ١٧٣، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(١٤٦) أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص ١١٧.

(١٤٧) محمد الولي، مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص ٣٥، ضمن مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد ٤٠.

(١٤٨) أوليفيي روبول، مدخل إلى الخطابة، ص ٨٨.

(١٤٩) الحاجظ، البيان والتبيين، (١/ ١١٦). وقد نقل أبو هلال العسكري هذا الكلام عن الجاحظ، يقول: " ليس يحمد من القائل أن يُعَمِّيَ معرفة مغزاه على السامع لكلامه فى أول ابتدائه، حتى ينتهى إلى آخره؛ بل الأحسن أن يكون فى صدر كلامه دليلٌ على حاجته ومبيّنٌ لمغزاه ومقصده"، الصناعتين، ص ٤٤٢، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٤١٩ هـ.

(١٥٠) انظر: محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٧٩.

(١٥١) حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ٨١.

(١٥٢) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٣/٢).

(١٥٣) عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٦٣، وانظر: أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص ١١٨، وانظر كذلك: محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ١٤٠.

(١٥٤) انظر: محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٨١.

(١٥٥) انظر: المرجع السابق، ص ٨٣.

(١٥٦) انظر: المرجع السابق، ص ٨٧.

(١٥٧) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٤/٢).

(١٥٨) المرجع السابق، (٥٤/٢).

(١٥٩) المرجع السابق، (٥٣/٢).

(١٦٠) أحمد الحوفي، فن الخطابة، ص ٦٧.

(١٦١) أوليفيي روبول، مدخل إلى الخطابة، ص ٨٨.
(١٦٢) حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ٧٨.
(١٦٣) محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٩٧.
(١٦٤) الجاحظ، البيان والتبيين، (٥٥/٢).
(١٦٥) عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٦٤.

المصادر والمراجع

١. **أحمد** أحمد بدوي، الخطابة في عهد علي بن أبي طالب، مجلة الرسالة، العدد، ٢١١، ١٩٣٧م.

٢. **أحمد** الحوفي، فن الخطابة، نهضة مصر.

٣. **أحمد** حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة.

٤. **أحمد** بن حنبل، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

٥. **أحمد مطلوب**، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٦. **إسماعيل** حقي، روح البيان في تفسير القرآن، (٧ /١٤٥)، دار الفكر، بيروت.

٧. **أوليفيي** روبول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة: رضوان العصبة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٧م.

٨. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري**، الجامع المسند الصحيح، تحقيق: محمد زهير، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٩. **بدوي** طبانة، البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م.

١٠. أبو **بكر** بن العربي، أحكام القرآن، الطبعة: الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م.

١١. أبو **بكر** العزاوي:

البلاغة العربية والعلوم الجديدة، سؤال القراءة وسؤال التجديد، بحث منشور ضمن فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد(٤/٢٦)، العدد ١٠٤، تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، خريف ٢٠١٨م.

١٢. الحجاج في اللغة والبلاغة، ديكرو وبيرلمان أنموذجًا، بحث منشور ضمن فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد(١/٢٦)، العدد ١٠١، تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، خريف ٢٠١٧م.

١٣.**تايلور** فيليب، قصف العقول، الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي، ترجمة: سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٥٦، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، ٢٠٠٠م.

١٤.ابن **تيمية**، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة: الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض،١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.

١٥.**الجاحظ**، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، القاهرة،٢٠٠٣م.

١٦.**جلال** الدين السيوطي، جمع الجوامع أو الجامع الكبير، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج وعبد الحميد محمد ندا وحسن عيسى عبد الظاهر، الطبعة الثانية، الأزهر الشريف، القاهرة، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥م.

١٧.**حاتم** عبيد، منزلة العواطف في نظريات الحجاج، ضمن مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد ٤٠، أكتوبر ديسمبر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١١م.

١٨.**حازم** القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي.

١٩.ابن أبي **الحديد**، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.
٢٠.**حسن** المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، الأردن، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.
٢١.**سامي** كليب، البراغماتية (القولفعلية)، في تحليل أفعال الخطاب السياسي، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٧م.
٢٢.أبو **سعد** منصور بن الحسين الآبى، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م،
٢٣.**سمير** أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩١م.
٢٤.**الشريف** الرضي، نهج البلاغة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، القاهرة،٢٠٠٤م.
٢٥.**شوقي** ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة: الثالثة عشرة، دار المعارف.
٢٦. **صلاح فضل**، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٦٤، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.
٢٧.**الطاهر** بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٢٨.**عبد الجليل** شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٨١م.

٢٩.**عبد العالي** قادا، بلاغة الإقناع، دراسة نظرية وتطبيقية، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، الأردن، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
٣٠.**عبد اللطيف** سلامي، المدخل إلى فن المناظرة، الطبعة الأولى، مركز مناظرات قطر، ٢٠١٤م.
٣١.**عبد اللطيف** عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر،٢٠١٣م.
٣٢.**عبد الله** صولة:
٣٣.الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب بمنوبة، تونس.
٣٤.في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، الطبعة الأولى، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١م.
٣٥.**عبد المتعال** الصعيدي، بغية الإيضاح، الطبعة السابعة عشرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٣٦.ابن **عساكر**، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م.
٣٧.**علاء** الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ،١٩٨١م.
٣٨.**عماد** عبد اللطيف، استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.
٣٩.**غوستاف** لوبون، الآراء والمعتقدات، ترجمة: عادل زعيتر، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة.

٤٠.**فيليب** بروطون، الحجاج في التواصل، ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م.
٤١.ابن **كثير**، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.
٤٢.**المبرد**، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م.
٤٣.**مجمع** اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة.
٤٤.**محمد** العمري:
في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الطبعة الثانية، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٢م.
٤٥.نظرية الأدب في القرن العشرين، الطبعة الثانية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٤م.
٤٦.**محمد** الولي:
في خطابة أرسطو الباتوسية، ضمن مجلة علامات، العدد ٢٦، المغرب،٢٠٠٦م.
٤٧.مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ضمن مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد ٤٠، أكتوبر ديسمبر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١١م.
٤٨.**محمد** أفيلال، نحو آفاق جديدة للبلاغة العربية، محمد مشبال أنموذجًا، بحث منشور ضمن فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد، العدد ١٠٤، تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، خريف ٢٠١٨م.
٤٩.**محمد** أبو زهرة، الخطابة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٥٠.**محمود** الهندي، وعبد العزيز شرف، التفسير الإعلامي لنهج البلاغة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥١.ابن **منظور**، لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ .
٥٢.**هشام** الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب بمنوبة، تونس.
٥٣.أبو **هلال** العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

Ali Ibn Abi Talib Speech of Jihad
An Argumentative Study

Abstract

Ali Ibn Abi Talib(may Allah be pleased with him) was the most prominent speaker among all The Companions, which was the rationale of selecting his speech of Jihad. Owing to their focus on rhetorical argumentation, Perelman and Tyteca's perspective was adopted. The purpose of the study is to approximate this text to Arab speech art in order to identify the argumentative techniques adopted by Imam Ali in this speech in an attempt to persuade his followers with the necessity of defending their lives, honour and money.

The speeches of Imam Ali ,in my view, represent the seminal work of argumentation introduced to Arabic prose. Consequently, Arabic argumentation art emanated from the womb of Arabic speech art. Imam Ali's speech came as consecutive arguments in the form of causes and effects; Jihad is a reason of going to The paradise in the hereafter, the abandoning of which is humiliation in this world and the hereafter. Imam Ali called his supporters to fight, but they didn't obey him with the result that they were humiliated and righteous men of them were killed and women were insulted. When imam Ali persistently urged them to fight ,they fabricated flimsy excuses as they are not real men but semi-men. As a result, Imam Ali repented knowing them as they were the reason Qureish claimed he is not a warrior, but his actual history surely affirms he was a valiant warrior all his lifetime.